

عباس الجراري

عُبْرِيَّة اليُونِسِي



المشركة المسماة

دار الثقافة

المنارة البيضاء

عبرتہ الیوسی

عباس الجراري

عُبْرِيَّة اليُونِسِي



المكتبة الثقافية
دار الثقافة

34:32 شارع فكتور هيو

الهاتف 26-23-75 - 26-53-46

ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981
حقوق الطبع محفوظة

الإهداء

إلى كل مثقف يعي رسالته
وإلى كل حاكم يقدر مسؤوليته

ع الجراي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

يرجع اتصالي الأول باليوسي إلى فترة تبعد بنحو ثلاثين عاماً . وبالتحديد إلى غُشت 1949 ، موافق ذي القعدة 1368 . كنت يومئذ طفلاً في الحادية عشرة من عمري ، أتأهب للالتحاق بالثانوي بعد أن اجتزت نهاية المرحلة الابتدائية ؛ وكنت قد سافرت مع والدي حفظه الله رفقة أخي محمد إلى فاس وصفرو لقضاء جزء من عطلة صيف هذا العام في هاتين المدينتين وما في ضواحيهما من مصايف جميلة .

وإذا كان السيد الوالد قد سجل هذه السفرة⁽¹⁾ على عاداته في تدوين رحلاته ، وقد رجعت بالفعل إلى ما كتب عنها ، فإني أذكر أننا في صفرو نزلنا ضيوفاً على القائد الحسن اليوسي⁽²⁾ الذي كان صديقاً لوالدي ؛ وأذكر جيداً ذلك الصباح الباكر الذي خرجنا فيه على متن سيارة (جيب) كان يسوقها القائد ، لزيارة ضريح اليوسي الواقع في قرية تبعد عن المدينة بنحو

(1) رحلتي الصيفية (مخطوطة لدى المؤلف)

(2) هو الحسن بن حدو سعيد اليوسي . أحد كبار القواد في عهد الحماية . كان متصفاً بالغيرة والشهامة والوطنية . وقد تولى في فجر الاستقلال وزارة الداخلية ثم وزارة التاج . توفي بالرباط يوم الاثنين 20 يوليوز 1970 موافق 16 جادى الأولى 1390 . ونقل غد التاريخ إلى مسقط رأسه (نقلا عن «وفيات» مخطوطة للسيد الوالد . وقد تحدث عنه في أماكن متفرقة من «رحلتي الصيفية» وهي مخطوطة ، كما تحدث عنه في «هذه مذكراتي» القسم الثاني ص 135 . وهي مرقونة)

عشرين كيلومتراً . وهو يضم إلى جانب مدفنه قبور أبنائه عبد الله ومحمد (فتحاً) وعبد الكريم . أما ابنه الرابع العربي ، فإنه مات بعيداً عن القرية ، فلم يدفن جوار إخوته وأبيه .

كان قوم غير قليلين ينتظروننا عند الوصول ، في حين كان عدد من التلاميذ الصغار داخل الضريح يتلون القرآن في الألواح . وكان الكبار منهم ينظرون في متون فقهية ونحوية يستعدون بدراستها واستظهارها للحاق برفقاء لهم سبقوهم إلى حلقات القرويين . وكان في هؤلاء وأولئك بعض من حفدة الشيخ .

وإذا كنت نسيت الكثير من جوانب هذه الزيارة ، فإني لم أنس الحوار العلمي والتربوي الذي أجراه الوالد مع تلاميذ هذه (المدرسة) وفقهائها . وما كان يفعمه من فوائد وتوجيهات لم التفت يومئذ منها إلا القليل ؛ كما لم أنس الفطور الشههي الذي قدم لنا في رحاب الزاوية اليوسية قبل أن نعود إلى المدينة

وقد ظلت عالقة بذهني على الخصوص معلومات سمعتها في هذه الجلسة عن اليوسي وثقافته ومؤلفاته ومواقفه وما اكتسب من مكانة فرض بها وجوده على عصره وعلى التاريخ .

وأذكر أنني حاولت بعد العودة إلى الرباط أن أنظر في كتاب « المحاضرات » ، ولكنني سرعان ما أرجعته إلى مكانه ، ولم أعد إليه إلا بعد ثلاث أو أربع سنوات لأقرأ فصولاً منه كنت أجدها غير بعيدة في قلبها وأسلوبها وموضوعاتها عن المقالات التي تنشرها الصحف والمجلات .

* *

ثم تأقت نفسي بعد أن التحقت بالجامعة وأخذت أتدرج في مختلف مراحلها ، إلى الاطلاع على تاريخ المغرب السياسي والفكري وما أنتج

المغاربة قدامى ومحدثون في مختلف مجالات الإبداع . ولا أخفي أنني كنت في هذه الفترة التي أفضت بي للتخصص في الأدب المغربي شغوفاً باليوسي . كثير التأمل في حياته وكتاباتة .

وعلى الرغم من أنني شغلت في إنجاز دراساتي العليا بمباحث أخرى . فقد ظل اليوسي في طليعة الموضوعات التي أدت عليها الدروس وحلقات البحث مع طلبتي في الجامعة ؛ وخاصة طلاب السلك الثالث عند أول تأسيسه في فاس سنة 1970 ، إذ قررت عليهم كتاب « المحاضرات » في مادة النصوص . وأشهد أن التجاوب كان كبيراً وعميقاً إلى حد أن معظم الذين نجحوا في امتحان السلك الثالث هذا العام رغبوا في أن يسجلوا تحت إشرافي رسائل في موضوعات تتصل باليوسي . ولكني لم أكن أرى أن تنجز دراسات في جوانب قتلت بحثاً ومناقشة طوال سنة كاملة . ولم أوافق منها إلا على موضوع كان ينصب على جمع « رسائل » اليوسي والعناية بها تحقيقاً ودراسة⁽³⁾ ، وموضوع آخر يتعلق بأبي عبد الله محمد المرباط الدلائي⁽⁴⁾ . في حين وجهت الطلبة الآخرين نحو موضوعات مختلفة كانت في نظري تتسم بالجدة والبتارة والأولية.

وقد بدأت هذه الدراسات تعطي بعض الثمار ، بما نوقش منها . وبما يضاف إليها سنة بعد أخرى من رسائل وأطروحات ، خاصة بعد أن تأسست شعبة اللغة العربية وآدابها في كلية الرباط ، وعملنا جاهدين على إنشاء الدراسات المغربية بها في مختلف الأسلاك . على حد ما فعلنا من قبل في فاس .

* * *

(3) أنظر انقسم الثاني الحاص بسيرة اليوسي البيليوغرافية

(4) نفسه

وإذا كانت صحبتي لليوسي قد فترت بعض الوقت ، فإنها لم تلبث أن بعثت وأضرمت جذوتها حين وصلني في أوائل هذا العام خطاب من السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية يخبر بعزم الوزارة على إصدار عدد من مجلة « المناهل » خاص باليوسي ، ويدعو إلى المساهمة فيه بالكتابة في بعض جوانب شخصيته .

واستعرضت في ذهني شريط حياة الرجل وفكره ، فبدأ لي الشريط طويلاً . وهو على طوله غني وخصب وجذاب ، بما له من ملامح متعددة وخصوصيات متميزة تكشف لاشك عن عبقرية متفردة.

ودام الاستعراض أياماً كنت خلالها أفكر في الجانب الذي يتيح إبراز أهم سمات هذه العبقرية ، وظهرت لي بعض الموضوعات ، ثم استقر الرأي في النهاية على اثنين منها ، لم أتردد في إنجازهما :

أحدهما عن اليوسي من حيث هو رائد عصره ومجدده
والآخر عن بيوبليوغرافيا اليوسي أو سيرته البليوغرافية

وإذ لم يكن مناسباً أن أشارك في هذا العدد بموضوعين ، على أهميتهما — في نظري على الأقل — فقد فضلت أن أنشر ثانيهما ، لاعتقادي أن العمل البليوغرافي ذو قيمة أساسية ، من حيث أنه يكشف عن جوانب إنتاج اليوسي المتعددة ومدى اهتمام المؤرخين والدارسين به ؛ ولاعتقادي كذلك أن الدراسات العربية عموماً ما زالت تفتقر إلى مثل هذا العمل . كما نشرت في عدد تال من نفس المجلة جزءاً من البحث الأول ، وهو المتعلق باليوسي بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع .

وإني إذ أقدم البحثين معاً أشكل منهما قسمي هذا الكتاب عن « عبقرية اليوسي » ، أعترف بأنني أضفت مصادر أخرى إلى السيرة البليوغرافية ، بعضها كان موقوفاً عندي غير مكتمل لم أشأ إدراجه فيما

نشرت . . وبعضها لم أكن قد اطلعت عليه ، دون أن أنسى ما نبهني إليه
مشكورين إخوان لي من الباحثين المعتنين ، فضلاً عن الموضوعات التي
زخر بها العدد الخاص من المناهل ، أو التي صدرت في أعقابه .
فعسى أن أكون وفقت في تناول اليوسي من خلال بعض جوانب
عبقريته . وعسى بذلك أن أكون أعربت عن وفائي لرفقة لي معه تمتد إلى
طور صباي ، ولكنها على طولها تتميز بالتجاوب والانسجام .
والله الموفق

الرباط 4 ذي الحجة 1399

موافق 26 أكتوبر 1979

عباس الجراري

القسم الاول

اليوسي رائد عصره ومجدده

مقدمة

ليس بدءاً — كما قد يظن — أن يتناول دارس معاصر أبا علي اليوسي من زاوية الريادة والتجديد ، فقد تعاقبت مصادر كثيرة على اعتباره من المجددين ، بدءاً من الإفرائي الذي حلاه في (الصفوة) ب « الشيخ الإمام علم الأعلام شيخ الإسلام ، آخر علماء المغرب على الإطلاق ، وممن وقع على علمه وصلاحه الإجماع والاتفاق »⁽¹⁾ ، قبل أن يورد نقلاً عن بعض أشياخه أنه « هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه »⁽²⁾.

وهو قول اعتمده محمد بن علي دنية الذي اعتبره في كتابه (واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد)⁽³⁾ مجدد المائة الحادية عشرة.⁽⁴⁾ كما اعتمده كثيرون ، يكفي أن نذكر منهم محمداً الحجوي الذي قال عنه في (الفكر السامي) : « انتهت إليه الرياسة الكبرى في العلم في زمنه . وله شهرة ذائعة في المغرب والمشرق كشهرة تواليفه ... ويعتبر مجدداً على رأس المائة الحادية عشرة »⁽⁵⁾

(1) ص 206 وانظر كذلك النزّهة ص 284 ونقله الناصري في الاستقصا (ج 7 ص 108 — 109) ومحمد بن مخلوف في شجرة النور الزكية (ص 328) وابن ابراهيم في الأعلام (ج 3 ص 154)

(2) ص 208

(3) هو الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً . ولفظه : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها »

(4) ص 30

(5) الربع الرابع ص 117 — 118

على أن اعتباره من المجددين تعدى نطاق المغرب إلى الخارج . على حد ما تنقرأ في القصيدة التي استجازه بها فقيه طرابلس محمد المكني إذ قال : (6)

أعالم أهل الأرض في كل ما قطر وعلامة الدنيا جميعا بلا نكر
وقدوة أرباب الهداية والتقى مجددين الله حقاً بدا العصر

بل إن اليوسي نفسه كان يدرك مكانته التجديدية ، كما يتضح من هذا النص الذي يشرح فيه مناجهه العلمي ويدين المقلدين ، معتبراً أنه « لم يكن أحد من علماء العقل وعقلاء العلماء يقيم للمقلد التابع كل ناعق وزناً أو يثبت له فضلاً أو يعده عالماً أو فقيهاً ، وإنما كان يعد في نحو دواوين القصاص أو المؤرخين أو أصحاب الخرافات وأهل النوادر والحكايات حتى فشا الفساد وكثر الجهل والعناد فاختلف الفائق بالماتق والسائق بالسابق والمجلى باللطيم والأغر بالهميم ، وذلك عند ما عميت البصائر وردت السرائر ، وقد بدأ الدين غريباً وسعود غريباً . وقد كان ما أخبر به الصادق المصدق عليه السلام نعوذ بالله من انحراف السيرة وفساد السريرة والتقليد على غير بصيرة . فإنه لا فرق بين مقلد ينقاد وبهيمة تقاد . فليكن في علمك أيها الناظر أن ما أودعنا موضوعنا هذا أو غيره من الموضوعات إلا ما اعتقدنا صحته تصوراً وتصديقاً عن ضرورة أو بينة وضحت وبصيرة انشרכת فلا يهمن في وهمك طمع أن تعارضنا بكلام أو رأي لغيرنا ممن تقدم أو تأخر يخالف ما رسمناه وينقض ما أحكماه ، فننقاد إليك ونخضع بين يديك اللهم إلا أن تظهر بعد صحته وتبين بينته فيكون الإنصاف إن شاء الله تعالى شيمتنا والرجوع إلى الحق طريقتنا . ولا تحسن أيها الناظر أن الذين أسايرهم في مفاوز الفضل والفهم وأباريهم بقداح التحصيل في كل

(6) رحلة اليوسي ك 1418 الورقة 78 و .

حكم وأسابقهم في مضمار الحكمة والعلم هم أهل زمانك : كلا ، ولكن حجة الإسلام وفخر الدين وعضد الدين وسعد الدين وسائر المحصلين ، على أنني لا أققدم تحكيماً ولا ألتزم شأوهم دخيلاً ورسياً ولكن أذكر ما ذكروه إن صحت عندي صحته وتقوت لدي قوته ، وإلا نبذته إلى وراء وخلفته بالعراء أو ذكرت ما فيه تصريحاً أو تلويحاً ، وليس يحرمني من ذلك منصبي أو يحطني عن درجي قول جهول أو حسود ليس بعشك فادرجي ولا قول واعظ منتصح بل تزكوا أنفسكم لعدم علمه ان تزكية النفس إنما سمي الثناء عليها واعتقاد براءتها من العيوب وإثباتها بين يدي ملك الملوك وعلام الغيوب» (7).

وحتى الذين لم ينصوا من المؤرخين والدارسين على تجديده ، أقرؤا له بذلك ضمناً فيما حلوه به : كابن زاكور الذي وصفه بـ : « حبر الأخبار وجهينة الأخبار وزين القرى والأمصار العديم النظر في سائر الأقطار » (8) ، وكان أنشأ فيه عدة قصائد يكفي أن نذكر من إحداها هذه الأبيات : (9)

علامة الدنيا بلا	ثنيا ومصقعا المسود
بحر الشريعة والحقيـ	قة فاض فيها ليس يعهد
بز الذين تقدموا	واستشهد الأخبار ترشد
فسميه البصري لو	رزق الحياة له تردد

(7) القول الفصل الورقة 220 ظ 221 و

(8) نشر الأزاهر ص 88

(9) الديوان ك 357 ص 38 ورياض الورد ص 22 (وانظر قصائده الأخرى في الديوان ص

7 — 92 — 115 — 224 — 226 — 273) ومن الذين مدحوه كذلك محمد بن

سعيد السوسي وغيره (أنظر المحاضرات ص 11)

وابن زاكور بهذا الوصف تعدى العياشي الذي قال عنه بيته
المشهور : (10)

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه
وقال عنه القادري انه « الإمام الكبير المحقق الشهير أعجوبة الدهر
ونادر العصر سيف السنة القائم عن وجوه أهل عصره يجزىل المنة » (11) ،
وانه « الإمام علامة الزمان ونادرة الأوان » (12) .

وعند الكردودي أنه كان « من أكابر الفحول وإماماً في المعقول
والمنقول ، عالماً ماهراً وبجراً في العلوم والمعارف زاهراً محققاً للدراية جامعاً
أشأت الرواية ، له عارضة كبيرة في النقل والتحقيق » (13) .

وتحدث عنه ابن الحاج فقال : « فاض بحر علومه وانتشر بدر فهمه
حتى كان يعد من نظراء حجة الإسلام والفخر والعضد والسعد ، على أنه
والله قد نور بالعوارف والمعارف صدره وشاع بذلك في الأفاق صيته
وذكره » . (14)

أما الكتاني فوصفه بأنه « عالم المغرب ونادرته وصاعقته في سعة الملكة
وفصاحة القلم واللسان مع الزعامة والإقدام والصدع بما يتراءى له وكثرة
التصنيف على طريق بعد العهد بمثله ، وهو الكلام المرسل الخالي عن النقل
إلا ما لا بد منه » (15) .

(10) المحاضرات ص 10

(11) النشر الكبير ك 2253 ج 2 ورقة 26 ظ

(12) النقاط الدرر 676 د الورقة 216 ظ

(13) الدر المنضد 1584 د الورقة 217 و

(14) رياض الورد 111 د ص 21

(15) فهرس الفهارس ج 2 ص 464

وإذا كانت مثل هذه الأحكام صدرت في جملتها مطلقة ، وإن اعتمدت على ما كان للرجل من مكانة فكرية تبلورت جلية واضحة في حياته وإنتاجه ، فإن التعمق في دراستها بالبحث الحديث لا يلبث أن يؤكد — وإن من زاوية مختلفة في الرؤية والتناول والهدف — أن اليوسي كان حقاً رائد عصره ومجدده . وهذه قضية أعتقد أنها تأخذ أبعاداً ثلاثة ، سأحاول دراستها في الفصول المقبلة ، وهي :

- أولاً : نمط متميز من الثقافة والشخصية
ثانياً : بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع
ثالثاً : مواقف جريئة وآراء صريحة



الفصل الأول

نمط متميز من الثقافة والشخصية

الحديث عن ثقافة اليوسي وشخصيته في لونها المتفرد مرتبط أشد الارتباط بنوع البيئة التي شهد فيها النور ونشأ في ربوعها وترعرع ، ثم بشكل الحياة التي عاش مراحلها في تنقل مستمر ومعاناة دائمة.

ولم تكن تلك البيئة سوى آيت يوسي ، إحدى قبائل الأطلس المتوسط الصنهاجية التي كانت تستوطن سفوح جبل العياشي وملوية العليا التي ولد بها أبو علي سنة أربعين وألف ، قبل أن تستقر في الشمال على عهد المولى اسماعيل الذي كانت له معها مواقف فرضت المواجهة وتركت آثاراً خفية وعميقة في النفوس ، وإن زالت مظاهرها الخارجية بعد أن أصبح لآيت يوسي وما إليها من القبائل نفوذ في سهل تادلة وسائيس والمناطق المتاخمة لها ، بدءاً من فاس إلى مكناس وما وراءها من الأقاليم والطرق التي تربط العاصمة بتافيلالت .

مهما يكن ، فإن اليوسي نشأ في بيئة وعرة الطبيعة صعبة المراس ، تتسم بالحركة البشرية المتنوعة وبالاضطرابات والفتن والثورات .

ومع ذلك ظل مرتبطاً بها ، مشدوداً إليها ، باعتبارها مهد طفولته ومرتع صباه ، يحن إليها في تعلق يتعدى إحساس الشاعر بالأرض ليلبغ حداً يكاد يكون ساذجاً أو مرضياً ، يصل إلى درجة من التقديس جعلته لا يرضي بها بديلاً حتى حين أتيح له عيش رغد في فاس .

ولقد تركت هذه البيئة في نفس اليوسي ملامح طبعت إصابته ، وشكلت ثقافته ، وحددت شخصيته ، وصفت مزاجه وصقلته بحدة وذكاء أضيفا إلى استقامته وقناعاته المعاشية ليجعلا منه في النهاية رجل مواقف ومبادئ يعتز بها ولا يتنازل عنها مهما بلغ الثمن ، وإن كان دفعه عالياً وغالياً .

وقد زادت في إبراز هذه الملامح وتقويتها عوامل أخرى حثته على العصامية ، في طليعتها فقر أسرته وأمية أبيه الذي كان رغم ذلك يتميز بالصلاح وحب الخير والرغبة في تعليم ابنه ؛ فأدخله الكتاب القرآني ، إلا أنه كان كثير الهرب منه لما كان عليه من حياء مفرط .

وتعرض في هذه الفترة المبكرة لحادث صدمه وكان له أكبر الأثر عليه ، إذ فقد والدته وحرم بفقدانها من عطف الأمومة وحنانها ، وغدا يبحث عن تعويض ، فلم يجدّه في غير الانكباب على التحصيل والتطلع لمزيد من العلم والمعرفة ، والخروج لذلك في رحلات ستيح له أن ينوع ثقافته لتشمل التصوف وعلوم الدين واللغة والأدب ، بما في ذلك القصص والأمثال⁽¹⁾ ، وأن يوسع نطاق اتصالاته ويختلط بشيوخ العلم والتربية ، ويتعرف إلى خبايا مراكز الدراسة وزوايا التصوف ، كما ستيح له أن يحتك بمختلف الفئات والطبقات ، وبالعوام خاصة.

وقد تحدث عن بداية هذه الفترة فقال : « ... فلما توفيت تنكرت على الأرض وأهلها

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف وكان ذلك سبب الفتح ، فألقى الله تعالى في قلبي قبول التعليم ،

(1) الفهرست ك 1234 ص 120 — 121

فدخلت أنعلم ، ولم ألبث إلا قليلاً حتّى جعلت أطلب والذي رحمه الله أن يغربني إلى الأمصار طلباً للقراءة فغربني...لناحية القبلة بعد أن قرأت حزبين ، وكان لوشي في سورة والمرسلات عرفاً...»⁽²⁾

خرج في هذه الرحلة الأولى إلى بلاد القبلة مع أبي اسحق معلم الكتاب ، فختم القرآن الكريم وتعلم بعض مبادئ العلوم ، والعربية منها خاصة . وعاد إلى قبيلته وقد تقوت علاقة الصداقة بينه وبين معلمه الذي بدأ يطلعه على بعض كتب التصوف ، ولا سيما (المورد العذب) لابن الجوزي ، وهو كتاب خلف أكبر الأثر في نفسه التي عرفت بواسطته «الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها».⁽³⁾

وقد تقوى هذا الإيمان بالتعرف إلى سيرة أويس القرني وإبراهيم بن أدهم . ولا شك أن تعطشه لهذا النوع من المعرفة هو الذي دفعه في هذه الفترة إلى الخروج لزيارة أبي يعزى وصلحاء ميسور وتغاية.

وتوالى رحلاته الدراسية بعد ذلك ، إذ اتجه إلى سوس حيث تلمذ على أبي بكر الحسن التطافي وأبي العباس الدراوي وأبي فارس عبد العزيز الفيلاي وعبد العزيز الرسموكي . ثم اتجه إلى مراکش فاخذ عن عيسى السكتاني ، وإلى دكالة فإبليغ التي اتصل فيها بأبي حسون السملالي ، كما تولى التدريس في تارودانت قبل أن يلتحق بدرعة ليتلمذ على شيخ الزاوية الممكرونية محمد بن ناصر الذي حصل على يده الكثير من العلوم .

وإذا كان اليوسي قد عاش حياة التجوال في هذه المرحلة الأولى من حياته ، وهو لم يكمل بعد العشرين من عمره ، فإنه حين التحق بالزاوية الدلائية عرف الاستقرار والطمأنينة النفسية والمادية ؛ إذ صاهر الدلائيين

(2) نفس المصدر ص 129

(3) نفس المصدر 130

وأتم دراسته على شيوخهم ، أمثال محمد المرباط ومحمد بن عبد الرحمن
ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي . ولاشك أنه في رحاب هذه الزاوية
التي أقام فيها زهاء تسعة عشر عاماً ، أكمل المؤهلات العلمية التي برز بها
في مجال التدريس والتأليف .

وفي غمرة الظروف الصعبة التي عاشها المغرب في أوائل العهد
العلوي ، بسبب مشاكل انتقال السلطة واستقرارها ، خرب المولى الرشيد
زاوية الدلاء سنة تسع وسبعين وألف ، وأخذ اليوسي معه إلى فاس⁽⁴⁾

ولكن يبدو أن أي مجتمع بعد مجتمع الدلائيين لم يعد يملأ عينه ، فلم
يلبث أن ضاق في هذه المدينة التي لم يطب له بها المقام لأسباب استغل
بها سكنها « منها الطبع ، فإني لم أولد فيها ، بل في الفجاج الواسعة بين
الشيخ والريح والجنوب والشمال ... ومنها فساد طبع العيال والأولاد
والأصحاب . ونخشى ذلك نحن أيضا في أنفسنا من جهات : إحداها تعلم
الشهوات والانتساع فيها ، وإن كنا بالبادية لا نعرفها ، ووجدنا آباءنا
يعيشون بما وجدوا قانعين به ... ثانيها الوقاحة في ذلك وقلة الحياء ... ومنها
مقاساة أهلها والتعرض لإذائهم وفتنتهم ... »⁽⁵⁾

مهما تكن أسباب ضجر اليوسي من فاس — وسأعود إليها من زاوية
الصراع الثقافي الذي اعتقد أنه كان السبب الأساسي فيما حدث — فإنه
استغل الأزمة التي تعرضت لها المدينة سنة أربع وثمانين وألف أول عهد
المولى اسماعيل ، ليستأذنه في الخروج منها ، متجها نحو الشمال في زيارة

(4) ولم يعرضه للنفي أو السجن أو التشريد كما فعل مع بقية أعضاء الزاوية ، وكان منهم من فر
إلى فاس وحاول اللجوء إليها فأخرجه منها السلطان (انظر مناقشتنا لهذا الموقف في الفصل
الثالث الخاص بمواقف اليوسي وآرائه) .

(5) رسالة جواب الكتاب ص 20 إلى 25

لتطوان وجبل بني زروال حيث أقام بشعب بني فيه دويرات ، راضياً بالتعليم في البادية ، على حد ما فعل بعد ذلك حين أنشأ زاوية في خلفون على ضفاف أم الربيع ؛ إلى أن جاءه أمر السلطان بالرحيل خشية بقاءه في الوسط البربري الذي كان متعلقاً من قبل بالدلائيين ، فغادرها سنة خمس وثمانين ، واتجه إلى مراکش وأقام فيها يدرس بجامع الشرفاء ؛ ثم أذن له في العودة إلى خلفون عام تسعين ؛ ومنها أمر بالانتقال إلى مكناس ، حيث أقام خمسة أشهر صدر له الأمر بعدها بالذهاب مرة ثانية إلى مراکش ، فقصدها سنة اثنين وتسعين ، وفيها بقي ثلاثة أعوام مشنت القلب موزع الذهن مضطرب النفس لا يملك غير التوسل إلى الله ، وفي ذلك قال (6) :

تشتت قلبي في البلاد فقسمة	بمراكش منها على رجل طائر
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة	بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
وأخرى بفازاز وأخرى تجزأت	بملوية الأنهار بين العشائر
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتي	بأهل البوادي منهم والخواضر
فيارب فاجمعها فإنك قادر	عليها وما غير الإلاه بقادر
ويارب فاجعلها بأوطانها فما	عبيدك للبين المشت بصابر
لك الفضل والإحسان بدءاً وآخراً	وإني لما أوليتني جد شاكر
فنّ بانعام وجد لي بحاجتي	ورفق بقلب للهموم مسامر
فما لي إلا بابك الرحب ملجأ	وما طلب الحاجات منك بضائر
ومالي إلا جودك الجم شافع	وحسي بفيض منه أغزر وافر
وصفوتك المبعوث للناس رحمة	بشيراً شفيحاً مظهراً بالبشائر
صلاة وتسليم عليه مدى المدى	وعترته والصحب أهل البصائر

ويبدو أن اليوسي — وقد بدأت تتقدم به السن — لم يعد يطيق مثل

(6) المحاضرات ص 125 — 126 (ط حجرية)

هذه التنقلات المفروضة ، وهو الذي كان يسعى إلى الرحلة والتجوال مومناً ومقتنعاً بأن « المولى تعالى من لطيف حكمته وسابغ نعمته كما لم يخل عبداً من عبادته من فضل عاجل أو آجل ظاهر أو باطن كثير أو قليل ، كذلك لم يخل بقعة من بقاع الأرض من فضل ، ولم يعر بلدة من مزية يتعلل بها عمارها حتّى لا يتركوها »⁽⁷⁾

ولعله أدرك الأسباب الحقيقية⁽⁸⁾ التي تكمن خلف الأوامر المتلاحقة بالإقامة والمغادرة ، بل أدركها كذلك أصدقاؤه ومحبه ، فتوسلوا من أجله إلى الله في مثل هذه الأبيات التي أنشأها أحمد بن عبد القادر التاستاوتي⁽⁹⁾ :

يارب بالهادي وبالأصحاب	وبسائر الأوتاد والأقطاب
وبكل عبد في البرية صالح	ويحملة الأملاك والكتاب
أمن بفضلك مهجة الحسن بـ	من مسعود من الأنكاد والأوصاب
واشملة باللطف العميم وكن له	وانصره نصر مهيمن وهاب
وأدم بمنزله السرور فلا يرى	نكداً لجبار ولا مرتاب
أنت اللطيف القاهر الملك الذي	تغنو الوجوه له بلا حجاب

وقد بلغت أزمة اليوسي ذروتها حين أمر بالذهاب إلى الزاوية الدلائية المخربة في مني استمر من سنة خمس وتسعين إلى ثمان وتسعين . ولم يكن غريباً أن يصدر هذا الأمر في هذه الفترة التي كان فيها المولى اسماعيل يغزو بلاد ملوية ، مضطراً قبيلة اليوسي وجاراتها للفرار إلى الجبال للتحصن والاعتصام . فقد تحدث التاريخ أنه في « سنة ست وتسعين وألف ... خرج

(7) نفس المصدر ص 42 — 43

(8) أنظر آخر الفصل الثاني

(9) نزهة الناظر ك 1669 ص 125

السلطان غازيا بلاد ملوية وجعل طريقه على مدينة صفرو ، ففرت قبائل البربر إلى رؤوس الجبال ، وهم آيت يوسي وشغروسن وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومديونة ، فأمر السلطان ببناء قلعة بآعليل وأخرى على وادي كيكو من أسفله وأخرى على وادي سكورة ، وأخرى على وادي تاشواكت ، ثم خرج السلطان بملوية ففرت القبائل المذكورة إلى جبل العياشي وتفرقوا في شعابه ، فأمر ببناء قلعة بدار الطمع وقلعة بتابوست وقلعة بقصر بني مطير وقلعة بوطواط وقلعة بالقصابي وأقام على نهر ملوية يث السرايا ويشن الغارات على البربر قريباً من سنة ، والعمل مستمر في بناء القلاع إلى أن أكملت أسوارها وأنزل... بكل قلعة أربعائة من خيل العبيد بعيالهم ، وجاءت وفود البربر تائبين طائعين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح فدفعوها» (١٥)

وإذا كان اليوسي عاش في هذا الظرف محنة تذكر بتخريب الزاوية ، وإن أتيح له رغم كابوسها المزعج أن يكتب (المحاضرات) ورسالة (جواب الكتاب) ، فإنه كان في هذه المرة على موعد مع مسلسل آخر من التنقلات الفجائية ، إذ أمر بالخروج من الزاوية عام ثمانية وتسعين ليرحل في غير هدى إلى مكناس لحضور درس سلطاني في التفسير ألقاه القاضي أبو عبد الله المجاصي في نفس العام ، ونزل شعاب حمود مدة سبعة أشهر ، ومنها إلى صفرو لفترة ستة أشهر وفاس مدة سبعة أشهر ، ليتجه بعد ذلك إلى العرائش ويزور زوايا الشمال مع تلميذه ابن زاكور . ثم عاد إلى فاس ، ولكنه غادرها سنة ألف ومائة في صحبة أسرته التي سيتركها في قرية تمريزت ليرحل إلى الحجاز في وفد رسمي مبعوث من لدن السلطان . وفي سنة اثنين ومائة وألف ، عاد من الحج والتحق بأسرته في

تمزيّت ، حيث توفي في نفس العام⁽¹¹⁾ ودفن هناك ، ثم نقل رفاته بعد عشرين عاماً إلى المدفن الذي يوجد عليه حالياً ضريحه .

* * *

إذا أردنا بعد هذا العرض لأبرز ملامح حياة اليوسي أن نحدد العوامل الكبرى التي طبعت ثقافته وشخصيته ووجهت تفكيره وسلوكه ، فإننا نستطيع تلخيصها في النقاط الآتية :

أولاً : قدرات ذاتية في طليعتها الذكاء والعزيمة والاستقامة وصفاء الذهن .

ثانياً : تأثير البيئة على مزاجه ، سواء بما يسم طبيعتها أو سلوك أفرادها الاجتماعي والسياسي ، مما جعله متحلياً بالصبر والقناعة ، وبالصرامة والوضوح وعدم التحرج في إبداء الرأي ، وبالصرامة والاعتزاز إلى حد العناد .

(11) في طرة بالنشر الكبير (ك 2253 ج 2 الورقة 33 و) أنه « وثب اللصوص على صاحب الترجمة وقتلوه وأصبح مقتولاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وترك المؤلف التنبيه على هذا الجهل من وثب عليه قيل أنه ولي أمر القبيلة ». وعلى الرغم من أن المؤرخين والدارسين مروا على هذه الملاحظة ولم يلتفتوا إليها ، فإنها تلفت النظر بما لا يجعلها مستبعدة ، لاسيما وأن اليوسي عرف في أواخر حياته منعطفاً زادت فيه معاناته . هذا وقد أخطأ الذين جعلوا وفاته سنة 1111 كالجبتي في تاريخه ، وجورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ، والبغدادى في هداية العارفين وإيضاح المكنون ، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية . وعن الجبتي نقل الزركلي في الطبعة الأولى من أعلامه ثم صحح في الطبعات التالية ، وإن كان يرى أنه إذا كان اليوسي حج سنة 1102 وتوفي بعد عودته من الحج فإن وفاته تكون سنة 1103 ، خلافاً لسائر الروايات ، ولكن الصحيح أنه حج سنة 1101 كما في الرحلة والمصادر التي تحدثت عنها وعن صاحبها ، وكما عند القادري في النشر والزباني في البستان وآخرين ؛ وبذلك تكون وفاته سنة 1102

ثالثاً : تنقلاته في مختلف الأقاليم وما اكتسب من خبرة واسعة بالحياة والمجتمع .

رابعاً : ثقافة متنوعة ومتفوقة تهيأ له جمع شتاتها من مختلف الزوايا والمراكز ، وأتيح له صقلها وتنميتها بالتدريس والتأليف .

خامساً : معاناة نفسية وفكرية مريرة منذ خروجه من الزاوية الدلائية بعد تخريبها ، وإن لم يمسه في الظاهر سوء .

وإذا كان تأثير هذه العوامل قد تبلور فيما صدر عن اليوسي من مواقف وآراء ستتناولها في بحث خاص ، فإنه تبلور كذلك في سلوك فكري نابع من الإحساس بالتفوق المزوج بتواضع العالم المتطلع للمزيد من المعرفة . وقد تجلّى هذا السلوك متدرجاً مع مختلف مراحل حياته ، بدءاً من أول التحاقه بالزاوية البكرية في سن العشرين ، وكان قد اكتسب ثقافة أدبية ولغوية وقدرة على الجدل والنقاش في شجاعة أدبية نابغة من الثقة والاعتزاز ، حتّى ولو تعلق الأمر باحراج شيخه . وقد تحدث عن ذلك فقال : « ... كنت قدمت في أعوام الستين وألف من رحلتي في طلب العلم ، وكنت إذ ذاك شاباً ، فدخلت الزاوية البكرية فوجدت شيخنا أبا عبد الله محمد بن محمد المرابط رحمه الله قد جمع خطباً وعظية وتقدم إلى أهل الوقت في بلده ليكتبوا عليها تقریظاً ، فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم ، فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضاً . فوقع في مكتوبي لفظة القطائف اللطائف فاعترض علي ورام تبكيّتي وقال إنا لا نعرف القطائف إلا هذه المفروشات فقلت له إن القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة . فقال هو صحيح في اللغة ولكن الأدباء لهم الاختيار وعندهم ألفاظ يستعملونها مخصوصة ، فلا يرتكب كل ما يقع في اللغة . فقلت له حينئذ هذا أبو محمد الحريري يقول في مقاماته :

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحت على أن منعم في اقتطاف القطائف
فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة ، فلولا معرفة
المقامات واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته « (12)

وإذا كان أبو عبد الله المرباط الدلافي قد تقبل مثل هذه المواجهة بسعة
صدر ورحابة فكر ودون أية عقدة أو مركب ، وتقبلها معه أقرانه وتلاميذه
من الدلائيين ، في اغتباط بقدم شاب في مقتبل العمر ، مثقف متيقظ
جري ، زادوا فاحتضنوه وصاهروه وساعدوه على استكمال تكوين ثقافته
وشخصيته ، حتى غدا علماً بارزاً في زاوية الدلاء ؛ فإن المجتمع الفاسي ،
أي مجتمع مثقفه — شيوخا وطلاباً — واجه هذا العلم البارز ، حين
اضطرته الظروف للانتقال إلى فاس ، بمشاعر أخرى مختلفة . وكان هو يتلقى
هذه المشاعر بسخرية واستهزاء تارة ، وبمرارة وألم تارة أخرى ، على حد ما
تكشف رسالته (جواب الكتاب) ، فقد كتب فيها يقول : « ... كنا
نضحك أيام كنا بفاس مما يبلغنا عنهم ، وذلك انهم بحمد الله
— والتحدث بالنعم شكر — رأوا ما بهر عقولهم علماً وفهماً وفصاحةً ،
فكانوا يقولون : ترى الرجل بربرياً ثم إذا تكلم تكلم بلسان اهل الحاضرة .
وكان يبلغنا عن بعض الحمقى منهم أنهم يقولون : ما فاته شيء إلا أنه لم
يقرأ بفاس . وهذا كلام جاهل لا يعرف حكمة الله ومشيته الباهرة ... وما
أشبه نزعة هؤلاء بنزعة اليهود حيث أنكروا نبوة نبينا ﷺ إذ لم يكن من
الشام او من بني اسرائيل . واعلم أني شبهت النزعة بالنزعة لاشتراكها في
الجهل وتحجير رحمة الله الواسعة ، فلا يذهب وهمك إلى أني أريد محاكاة
نفسي بجناب النبوة » (13)

(12) المحاضرات ص 142

(13) ص 47

وكتب في نفس الرسالة متحدثاً عن فاس ، متأثراً من « مقاساة أهلها والتعرض لإذابتهم وفتنتهم ... ولقد طلبني السلطان مولاي الرشيد بالرحيل إلى فاس ، وقال : تصيب الظل والماء البارد وتأكل الخالص ويتنفع بك المسلمون . ولم أكن قط رأيت فاساً قبل ذلك ولا كان لي علم بحالها ولا حال أهلها ، فقلت : هذا والله خير ، وقبلت قول السلطان وارتحلت بنية صالحة ... فلم أدخل المدينة حتّى لم تبق لي نية من كثرة القيل والقال ؛ ثم بدأنا القراءة فاصطفقت علينا الطلبة أهل البلاد والغرباء ، وكان المجلس حافلاً ... فتحرك الحسد والوسواس وكثر القيل والقال وجعل كل من يحبني يحذرنى من الناس ومن أكل طعامهم ، فما يمكنني أن أشرب ماء ولا آكل طعاماً من يد أحد ، ولا أجلس على سليخة الكرسي حتى يقلبها أصحابي ، ولا تفريط ، فصرنا في فتنه وبلاء . ثم لم ألبث إلا قليلاً حتى مرضت ، فبقيت حتى نفقت واسترحت ، فذهبت للقراءة فلم يكن إلا أن طلعت على الكرسي حتّى أصابني ذلك ، فنزلت وجئت الدار فرقدت أيضاً حتّى تعبت ، فرجعت فكان الأمر كالأول . فعند ذلك قام إليّ أصحابي وقالوا : هذا أمر واضح بين ، هذا عَمَلٌ عَمِلَ لك على مجلس القراءة لثلاث تشغل به ، فإنك شئت عن الناس تلامذتهم وأخليت مجالسهم . وجعلوا يكتبون لي معادات لم تزل اليوم عليّ . فمن ثم أمكنني بإذن الله أن أحضر الميعاد ... ثم خرجت العطايا للفقهاء ولطلبة العلم ، وكانت عطايا الطلبة تنفذ إلى القضاة يتولون قسمتها عليهم ، فعند ذلك جعل الطلبة يتسللون من مجلسي ويذهبون إلى حيث كانت العطايا ، حتّى لم يبق في مجلسي بحمد الله إلا من همته العلم لا الدنيا ، وأكثرهم من الغرباء . وقليل من أهل البلد . وأكثر أهل البلد إنما همتهم في جائزة يقتنصونها أو محراب أو كرسي أو شهادة يتولونها . ثم لما رأي الناس أطلع إلى السلطان لبعض الأحيان جعلوا يتعلقون بي طلباً للشفاعة ، ويثقلون علي وأنا ما أحب أن أفتح ذلك

الباب على نفسي لأنه يتركني بلا شغل ، ولأني لا أقدر على ذلك ولا أصلح له ... ثم إن تلك العطايا كانت تتأخر إلى شهر والشهرين ، وكثير من الأحيان لا تصل إلينا العطية حتى نكون قد أخذنا من السوق أشياء بالدين مع أني كنت من أكثرهم عطاء ... ولما مات السلطان انقطع ذلك فصرنا في فتنة مع العيال ... » (14)

والحقيقة أن قضية اليوسي في فاس مع ما اتخذته من جوانب وأبعاد ، لا تخرج في واقع الأمر عن مجال المنافسة العلمية التي لم تحفظ لها براءتها ، وتطورت بجدّة وانفعال ، تغذيها عوامل هامشية كثيرة حولتها إلى صراع.

وقد بدأت خيوط هذا الصراع تنسج منذ وصول اليوسي إلى فاس وتصدره للتدريس ؛ وفي ذلك يقول : « فأقبلت طلبة العلم للأخذ عني ، وتخلّف جماعة من المشاهير ، وهم أو جلهم محتاجون إلى المجلس ، وكأنهم غلبهم ماهو المألوف من الطبع الآدمي في أمثالهم » (15) وهذا ما جعله يقول بيتيه المشهورين (16).

ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي ولا عرفوا جلاله منصب
لو أنصفوا لصبّوا إليّ كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصيب
ثم « إن بعض أعيان علماء فاس (17) أرسل له بطاقة فيها
جواب ... وهو هذه الأبيات :

(14) ص 25 — 26

(15) المحاضرات ص 72

(16) المحاضرات ص 73. هذا وما قاله كذلك في فاس :

على رسلكم يا أهل فاس فإنني فقيّ لست بالفهم الغبي ولا الغمر
أنا الصارم الماضي وبارب نافث يخلّف في الجثّ الأديم ولا يفري
(النشر الكبير ج 2 الورقة 31 و)

(17) في هامس النشر الكبير (ج 2 الورقة 27 ظ) أن المجيب هو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي

بل أنصفت فاس ومن إنصافها أبداً سقوط المدعى والمعجب
تنفي الدجاجل آجلاً بل عاجلاً منها فهي طريدة من يثرب

فلم يجبه ، لكن كتب له لفظة (سلاما) وحدها . فلما ردت البطاقة
لمرسلها ورأى ذلك أعجبه واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشير
لقوله تعالى : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» (١٨)

ويبدو أن اليوسي — قبل أن يرد — أطلع عبد القادر الفاسي على
الجواب الذي وصله ، فقال له : « البادي أظلم وأنت أزلت جلباب الوقار
وأبجست مقدارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمقال من لم يساوك في
علم ولا سن » (١٩)

وهو قول يكشف عن موقف من القضية اتخذها الشيخ الفاسي ، فيه
تحيز واضح لمخاصمي اليوسي ، وعلى رأسهم ابنه عبد الرحمن ، وفيه شيء
من التشني والشماتة كذلك ، وكان أولى به أن يتخذ موقفاً أكثر إنصافاً ،
تقديراً لعلم الرجل ومكانته ، وإكراماً له في غربته وما تقتضي من عناية
وضيافة (٢٠)

ومع ذلك ، فمن بين علماء فاس ، ارتفع صوت أبي محمد عبد
السلام بن الطيب القادري جد صاحب النشر ، ينصف اليوسي ويدافع

(١٨) النشر الكبير ج ٢ الورقة ٢٧ ظ

(١٩) هامش النشر الكبير ج ٢ الورقة ٢٧ ظ

(٢٠) على الرغم مما حدث بين اليوسي وآل الفاسي فإنه حافظ على علاقته معهم في ود
وتقدير . وهو موقف نبيل تشهد به الرسالة التي بعثها لأبي زيد عبد الرحمن وأبي عبد الله
محمد يعزيبها في أبيهما عبد القادر الفاسي والتي وصفه فيها بأنه « شيخ الجماعة وسراج الملة
وقدوة الوقت وبركة الوجود فإنه مصاب عم فجعه وعظم وقعه... وكيف وهو عماد أمن
تحضيم وبنيان قوم تهدم وسراج أطفئ عند أطباق الرجاء وحسام غمد عند قيام
الهيحاء ... » (النشر الكبير ج ٢ الورقة ٦ ظ)

عنه في أبيات علق بها على جواب أبي زيد ، وكان حاضراً في الجلسة التي قرئت فيها البطاقة المذكورة ، وهي قوله : (21)

ما أنصفت فاس ولا من شأنها	إنصاف ذي شرف جليل المنصب
يا أهل فاس ما الذي أغناكم	عن نيل غيث من غمام صيب
فلقد سقطت وما صدقت وانه	من شأن نفس المدعى والمعجب
لا تتعبن فدون ما حاولته	خرط القتاد أو امتطاء الكوكب
اطرق كرا هذا الإمام معظم	في سائر الدنيا بغير تعجب
فلأنت تطني نور ربك جاهداً	بالنفخ بغضاً كالجھول المذنب
أو كالذي رام الصعود الى العلا	بأتانه العرجا ولم يستوجب
لا تعجبين إذا الأكارم خلفت	غمرأ فكم من جاحد لم ينبج

وكان القادري قد مدحه بأبيات قالها لاشك لأول قدومه إلى فاس ، وهي : (22)

حييت بك الأرضون منذ حللتها	وحيت بنور هداك كل نفوس
أنت الذي أنهلت من بحر الهدى	فسقيت منه مزیده بكووس
أنت الذي لما رقيت سما العلا	نارت لنا بسناك كل شمس
قد جيت بجرأ من علوم زاخراً	متصلعاً منه بكل نفيس
قسماً بمروة والصفاء وبزمزم	قسم التي والبر غير غموس
ما جاز ذو علم ولا ذو همة	كلا ولا داني مقام اليوسي

واضح إذن أن القضية لا تخرج عن كونها منافسة بين اليوسي وعلماء فاس أوفئة منهم على الأقل . وعلى الرغم من أنها اتخذت في الظاهر ابعاداً

(21) النشر الكبير ج 2 الورقة 27 ظ ، والأبيات الأربعة الأخيرة واردة في الهامش
(22) المصدر السابق . وانظرها كذلك في الدرر المرصعة ص 51 والسر الظاهر للحوات ص 5
مع قصيدة جوابية لليوسي

شخصية . فإنها في العمق كشفت عن صراع بين ثقافتين أو نوعين من الثقافة ، احدهما منغلق على نفسه جامد في فقهية تعليمية وصوفية متفجرة ، مع ميل إلى المسaire والمجاملة والنفعية ؛ وهو النوع الذي تمثله هذه الفئة . والثاني متفتح ، متسع الآفاق متعدد المشارب ، قادر على الأخذ والعطاء ، في شعبية وحرية وجراًة ؛ وهو النوع الذي كان اليوسي يتفرد به .

وللكشف عن حقيقة الأمر ، بعيداً عن كل المؤثرات الهامشية التي تنطلق من الانحياز الفكري أو التعصب العنصري ، يجد الدارس نفسه ملزماً بالنظر في خارطة الثقافة المغربية خلال هذه الفترة ، وتحليل أهم ظروفها وملابساتها في محاولة لتحديد أبرز ملامح الواقع الذي كانت تعيش في مراكز عدة — سنكتفي بالإشارة إلى أهمها — وما أفرز هذا الواقع من أنماط لم يكن ذلك الصراع إلا مظهرًا لها ؛ وهو مظهر لاشك في إيجابيته ، من حيث أنه كشف عن سمة حركية في ثقافتنا ، وإن طرحت هذه السمة في إطار سلبى حرفها عن بعدها الحق .

وإذا كانت مدينة فاس في طليعة مراكز الثقافة لحقب طويلة ، فإنها في هذه وقبلها بقليل كانت تجتاز أزمة متعددة الجوانب ، أفقدتها ما كانت تتمتع به من مكانة . ففي آخر العهد السعدي ، ومع ظهور الثوار وأصحاب الفتن ، كانت المدينة « على فرق وشيع ، لا يامن التاجر على نفسه إلا ان استجار باحد من هؤلاء ، ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس وبتن أفقها العاطر الأنفاس وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس تضمحل ويعفو رسمها » (23) .

وزاد الحال سوءاً في أول العهد العلوي ، إلى حد أنه « لما كان آخر

(23) الاستقصا ج 6 ص 58

سنة ثلاث وسبعين وألف أغار المولى محمد بن الشريف على زرع الحياينة بأحواز فاس فانتسفه وأفسده ، ووقعت عقب ذلك مجاعة عظيمة أكل الناس فيها الجيف والدواب والآدمي ، وخلت الدور وعطلت المساجد . وخرج أهل فاس يستغيثون بأهل الدلاء» (24)

ويبدو أن الأحوال العامة — والاقتصادية منها خاصة — كانت سيئة في مجموع البلاد ، ففي « سنة ستين وألف كان بالمغرب غلاء مفرط وبلغ صاع البر بمدينة سلا مثقالاً وكاد ينعدم بالكلية ، وهو غلاء لم يعهد مثله وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالاً ونساء ... وفي سنة سبعين وألف كان الغلاء المفرط بالمغرب لا سيما بمراكش . وهذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج ، لا زالوا يضربون المثل بغلائها إلى اليوم» (25)

ثم حدث خلال عامي 1083 — 1084 ، في بداية تولية المولى اسماعيل أن انتفض أهل فاس وقتلوا قائد الجيش زيدان بن عبيد العامري ودعوا لأحمد بن محرز بن أخي الرشيد واسماعيل ، وكان قد بويغ في مراكش وسوس إثر وفاة عمه الرشيد ، ولكن المولى اسماعيل لم يلبث أن حاصرهم ودخل معهم في حرب أول الأمر : ثم عاد فحاصرهم « وطاولهم ولم يحدث معهم حرباً إلى أن أذعنوا إلى الطاعة وراجعوا بصائرهم ففتحوا البلد وخرجوا إلى السلطان تائبين فعفا عنهم ... فكانت مدة انتفاضتهم أربعة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً ذاقوا فيها وبال أمرهم» (26)

(24) نفس المصدر ج 7 ص 28

(25) نفس المصدر ج 6 ص 112 . وقد ورد فيه لدى الحديث عن الغلاء المذكور أنه « غلاء مفرط بلغ الناس به غاية الضرر حتى أكلوا الجيف » (ص 109) . أما كروم الحاج فهو

عبد الكريم الشباني الثائر الذي بويغ بمراكش سنة 1069 هـ

(26) المصدر السابق ج 7 ص 47 — 48

وكان نتيجة لهذه الأحوال السيئة الممتدة الجذور أن « فترت الحركة العلمية في المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي فتوراً كبيراً لا سيما عندما أراد السلطان المامون ابن المنصور الملقب بالشيخ من العلماء أن يوافقوا على احتلال العدو لمدينة العرائش ، فلم يرتضوا ذلك ، وخرج الكثير منهم فارين بدينهم إلى البوادي ، فكان لذلك من التأثير السيئ على الأوساط العلمية في المدن المغربية . وخصوصاً فاس ما لا يخفى »⁽²⁷⁾

وانحطت الأوضاع الثقافية في هذه المدينة وتقلص ظلها الذي بات ممثلاً في حلقات تلقينية أولية ، وفي بعض الزوايا التي تلقن الأوراد والأذكار للمريدين والفقراء ، وفي طليعتها زاوية القلقليين أو الفاسيين المنسوبة لدفينها عبد القادر الفاسي المتوفى عام واحد وتسعين وألف ، وكان أسسها أول الأمر بالمخفية أبو المحاسن المولود بالقصر الكبير سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة والمتوفى بفاس عام ثلاثة عشر وألف ، وكان استقر بهذه المدينة ابتداء من ثمانية وثمانين وتسعمائة.

ولعل مراکش⁽²⁸⁾ كانت قد احتلت المكانة العلمية الأولى منذ أواخر القرن العاشر ، ومع استقرارها عاصمة للدولة السعدية ، ولا سيما في عهد المنصور ، إذ أقبل عليها علماء مغاربة من كل الأقاليم ، وآخرون مهاجرون من الأندلس وتلمسان .

ومن أبرز الأسماء التي لمعت في ساحة العلم والتدريس بها : أحمد المنجور وعبد الواحد الحميدي وأحمد الازموري وأحمد بن القاضي وعلي بن عمران السلاسي ومحمد بن علي السالمي وعبد الواحد السجلماسي ومحمد بن يوسف الترغي وأحمد بابا التمكنكي وأحمد العبادي التلمساني وعلي بن مسعود الشاطبي .

(27) النبوغ لكونون ج 1 ص 274 (ط دار الكتاب اللبناني)

(28) عقد الدكتور محمد حجي فصلاً عن مراکش باعتبارها المركز العلمي الأول بالمغرب في هذه الفترة (انظر كتابه عن الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج 2 ص 375 -

كذلك اشتهرت في هذا العهد عدة مدارس علمية منبثة في السهول والصحراء وسوس وجبال الأطلس والريف ، وما إليها من المناطق النائية عن الحواضر التقليدية . ومن أهمها الزاوية المكنوتية التي أسسها الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري المكنوتي المتوفى سنة عشر وألف ، والتي عرفت ازدهاراً في عهدها الناصري على يد الشيخ محمد بن ناصر الذي جعل منها مركزاً يقصده طلاب العلم من مختلف الجهات .

أما الزاوية الدلائية فكان لها « صيت عظيم » ، وكان بها من معاواة العلوم والدؤوب على درسها وإقراءتها وقراءتها ليلاً ونهاراً ما تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعيانهم كالشيخ اليوسي وأضرابه حتى كانت إليها الرحلة في المغرب لا يعدوها الطالب ولا يأمل سواها الراغب» (29)

بل إنه في الظروف الصعبة التي اجتاز المغرب في هذه الفترة ، كان « من الألفاظ الحفية ان ظهرت الزاوية الدلائية ... فكأنما بعثها الله لحفظ تراث العلوم والآداب الذي كاد أن يضيع ، فقامت عليه خير قيام ، وما هي إلا مدة قليلة حتى صارت مركزاً مهماً لنشر الثقافة العربية بين قبائل المغرب ومأرزاً حصيناً للعلوم الإسلامية بالبلاد ، وقد تخرج فيها عدد لا يحصى من العلماء الفطاحل والأدباء الأماثل» ؛ (30) لا سيما وقد غدت « من أحسن البقاع التي يلتجئ إليها العلماء حيث يجدون الطمأنينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة أهلها فيتفرغون للعلم وتدارسه» (31)

ومن ألع العلماء الفاسيين الذين أقاموا فيها : أبو حامد محمد العربي الفاسي المتوفى سنة اثنين وخمسين وألف ، ومحمد بن أبي القاسم بن سودة

(29) الاستقصا ج 6 ص 97

(30) النبوغ ج 1 ص 274

(31) الزاوية الدلائية ص 71

المتوفى عام ستة وسبعين وألف ، وأبو العباس أحمد القادري المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، وهو تلميذ لليوسي.

. ثم « إن الثقافة الأدبية واللغوية في عصر اليوسي لم تكن قاصرة على حاضرة فاس وأمثالها ، بل إنها كانت في الناحية التي درس فيها اليوسي أقوى منها في فاس ، بل إننا نقول إن الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الدلاء حيث درس اليوسي هي التي أحييت ذماء الأدب في المغرب بعد العدم »⁽³²⁾

وقد ظلت الزاوية حتى بعد تخريبها تشع على غيرها من المراكز بما فيها فاس التي يذكر من العلماء الدلائين الذين انتقلوا إليها — بالإضافة إلى اليوسي — أبو عبد الله محمد المرباط الدلائي الذي عينه المولى اسماعيل عام ثمانية وثمانين وألف خطيباً⁽³³⁾ بالمدرسة المتوكلية الشهيرة بالعنانية ، واستمر يخطب ويؤم ويدرس في فاس إلى أن توفي بها سنة تسع وثمانين وألف ، بعد أن تخرج على يده جماعة من علماء هذه المدينة ، يكفي أن نذكر منهم محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الذي لم ينس أن يسجل هذه التلمذة في فهرسته (المنح البادية) ، حيث ذكر إجازته له وما أخذ عنه من علوم.⁽³⁴⁾

واضح إذن أن الفكر المغربي في هذا العهد كان يمر بمرحلة اضطراب وتشتت ، وكان يعرف في نفس الوقت لا مركزية وسعت من آفاقه وأبعاده ، وأرقدت شرايينه بدماء جديدة قوت كيانه الذي كان على وشك الانهيار.

(32) خل وبقل لكون ص 275

(33) البدور الضاوية 261 د ، (144 و 242)

(34) مخطوطة خزانة الرباط ك 1149 ص 6

من هنا نستطيع أن نتصور نوع الثقافتين اللتين كانتا تتصارعان من خلال اليوسي ومخاصميه : ثقافة تختصر في فاس محورها الفقه الذي كان يعتبر أساس المواد العلمية الدراسية لدى علمائها ، وثقافة أخرى تفتح وتغني في مختلف ربوع البلاد ، وقد عرف اليوسي كيف يكتسبها . وكان مهماً لذلك .

ثم إن اليوسي لم يجد في مدينة فاس — والقرويين خاصة — ما يوازي أو يؤكد السمعة التي كانت لها من قبل ، ولا حتى أصداء السمعة التي كانت تصله وهو في البادية أو الجبل أو في أية مدينة أخرى .

فقد وجد بعض الفقهاء والطلبة ، وخاصة من الأسرتين القادرية والفاسية ، وهذه بالذات ، وكان على رأسها الشيخ عبد القادر الذي كانت تتمثل فيه شخصية فقيه خلف إجازة ومجموعاً فقهياً ، وشخصية طريقي صوفي تجمع بعض الفقراء في زاويته . وربما كان أبنائه — وخاصة منهم عبد الرحمن الذي كان كثير التدوين والتأليف — الوحيد الذي كان مؤهلاً في فاس من بين جميع أقران اليوسي لمنافسته ؛ ولكنه كان دون اليوسي ثقافة وتفكيراً وتجربة وممارسة ، وكان دونه منطقاً وإبداعاً وفي أسلوب الكتابة والتعبير ، وحتى في صناعة التدريس وفن الإقراء ، وكان دونه قدرة على الدراسة والتحليل والتحليق وتكوين الرأي وإبدائه ، فضلاً عن اتخاذ أي موقف.

وإذا كان التعليم في هذه الفترة يقوم أساساً — سواء في فاس أو غيرها — على الحفظ والاستظهار والاستذكار وعلى النقل والتقليد ، فإن اليوسي أضاف إلى ذلك قدرة عقلية وحسية على الربط والتركيب والاستنتاج والاستخلاص ، وهي قدرة كانت تحثه دائماً وبوعي على التفكير والتأمل والاستنباط وإعمال الرأي وتجاوز مجال النقل والتقليد . وهذه

لاشك من أولى مميزات شخصيته وفكره . وهي ميزة نفتقدها عند كثير غيره ومعاصريه خاصة .

ثم إنه كان يدرك طبيعة الثقافة المغربية يومئذ ، في محاولة للتغلب عليها ، خاصة حين يضعها في ميزان المقارنة مع الثقافة في المشرق ، انطلاقاً مما كان لعلمائه من اعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ، وهو « ضعيف جداً في المغاربة ، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية ، وفيما سوى ذلك لا همة لهم ... » وقد سألت شيخنا الأستاذ أبا عبد الله بن ناصر رحمه الله ورضي عنه يوماً عن السند فيما كنت آخذه عنه . فقال لي انا لم تكن لنا رواية في هذا وما كنا نعني بذلك .⁽³⁵⁾

إذا أضفنا إلى ذلك وضوح فكر اليوسي وتسلسله وانتظامه كما في حاشيته مثلاً على (مختصر السنوسي) ، وترتيب المادة وتقسيمها وتفريعها في منطقية واضحة وتناول تلقائي مع استيعاب وتصرف ، سواء عند النقل أو التحليل أو الاستنتاج كما في (القانون) و (زهر الأكم) ، تبين لنا حجم المميزات التي نفتقدها في كتاب (الأقيوم) لعبد الرحمن الفاسي وإن كان أكثر اتساعاً في المادة ، فضلاً عما في (القانون) و (المحاضرات) من فكر نقدي تجديدي ناتج عن التأمل والتمرس بقضايا العلم والتعلم في بيئات المغرب المختلفة . فضلاً كذلك عما في أسلوب (المحاضرات) وحتى مؤلفات اليوسي الأخرى من أسلوب جديد في الكتابة غير معهود عند معاصريه . يتسم بالجزالة والمتانة والسلاسة والوضوح والبعد عن التكلف .

وفي اعتقادي أن نفس إحساس التفوق الممزوج بتواضع الباحث المتطلع إلى ما هو أعلى وما هو جديد ، كان يقود اليوسي في رحلته للمشرق آخر حياته .

ومن ثم لا مجال للاستغراب الذي طرحه الكتاني حين قال : « وإني أتعجب منه لما حج لم يستجز أحداً بمصر والحجاز والمغرب الأوسط مع جلوسه بمصر نحو أربعة أشهر ووجود كثير من أقطاب العلم والرواية إذذاك بتلك الديار كالعجيمي والبصري والنخلي في الحجاز ، وأحمد بن عبد الغني المعروف بابن البنا الدمياطي والشمس البكري والعجيمي والخزشي ومحمد بن منصور الاطفيحي وعبد الحي الشرنبلالي وشاهين الأرمنائي في مصر ، وهؤلاء كل أو جل أقرانه الذين رحلوا قبله وبعده أخذوا عنهم خصوصاً العجيمي والخزشي ، وهو إهمال كبير منه ، ولعله لم يجد من يملأ عينه هناك... ولعل اليوسي وولده ما عرفا إلا من أتى إليهما فلم يقصدا أحداً ، لذلك عميت عنهم مقامات رجال ذلك الدور » (36)

ويكاد يكون ما حدث له في فاس هو عينه ما حدث له في المشرق ، إذ لم يجد ما كان يتوقع أن يجد فيه ، مما كان الناس يتحدثون عنه حين يضحمون ذكرياتهم عن علمائه ، إذ « ليس بمصر من المساجد المشهورة للإقراء سوى جامع الأزهر ، والغير لا تكاد تجد فيه مجلساً للعلم أصلاً . وما كنا نسمعه قبل مشاهدتنا وحضورنا بهذه البلدة من إفشاء العلم والحث عليه وكثرة العلماء والمتعلمين وتعاطي الفنون ومداولتها لم نر شيئاً من ذلك . إما لد ثوره وانقراضه بموت أهله كما في الحديث الشريف ، وإما لهراء المارين بهذه البلاد وهدرهم وكذبهم وافتخارهم بذلك بكونهم لقوا أهل العلم والصلاح ، وقد قيل حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن مصر ولا حرج ، وكذلك أيضاً أهل الصلاح والولاية المشهورين المعروفين المتصوفين ما رأينا منهم أحداً أيضاً ، وقد بلغنا قبل هذه الساعة سيدي عبد الخالق بن سيدي الغازي حين حج وأخبرني بشي من هذا . فلم نزل

نطلبهم ونسأل عنهم ونجد في ذلك ، فما لقينا أحداً منهم إما لاختفائهم عن الناس وخمولهم كما هو دأبهم وسجيتهم ، فيكون الناقل فوقه كذاباً ، وإما لنقصاننا وعدم أهليتنا لرؤيتهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله » (37)

ويبدو أن اليوسي بهر بعلمه بعض من لقي في رحلته من العلماء ، كالخرشي الذي قال عنه ولد اليوسي : « وجدنا الشيخ الفقيه العلامة شارح مختصر خليل سيدي محمد الخرشي حيا واجتمعنا به وتبركنا به ، وهو رجل طويل أسمر اللون أمرد كبير السن ، وجاء لسيدي الوالد واجتمع به وقرأ عليه الخرشي ورقات من أوائل سيدي البخاري وأجازه سيدي الوالد » . (38)

وكما أجاز الخرشي ، فقد أجاز قبله الفقيه محمد بن أحمد بن محمد الملقب المكني وجماعة معه في طرابلس ، وكان قد استجازه بهذه الأبيات :

أعالم أهل الأرض في كل ما قطر
وعلامة الدنيا جميعاً بلا نكر
وقدوة أرباب الهداية والتقى
مجدد دين الله حقا بذا العصر
أيا شيخنا اليوسي وياشيخ وقته
وعمدة أقطاب الوجود بذا الدهر

(37) الرحلة (الورقة 99 و ظ) . هذا وقد كتب الاسحاقي في رحلته ما يلي : « حضرنا مجالس بالجامع المذكور (يعني الأزهر) فما رأينا ما يشفي الغليل ولا ما يبرئ العليل . والأمر في ذلك قريب داخل في قول حبيب : لا أنت أنت ولا الديار ديار . وبالجمله فالعلم بالبلاد الشرقية كغيرها قد وقف على ثنية الوداع وهم منزله بالإقلاع . وأخبرني بعض أصحابنا أنه سمع شيخنا أبا علي الحسن اليوسي بعدما رجع من حجته يقول ما بقي بالبلاد الشرقية من تشد إليه الرحال في طلب العلم . وما راء كمن سمع » (الرحلة مخطوط المكتبة الملكية رقم 1428 ص 159)

(38) الرحلة (الورقة 83 و)

مقيد هذا المكني محمد
عجبكم سرّاً وفي ظاهر الأمر
يؤمل منكم أن تجيزوه بالذي
رويتم ورويتم من العلم والذكر
وإن لم يكن أهلاً لما رام منكم
فإنكم أهل المودة والخير
ومهما تفضلتم بذاك فعمموا
لإخواننا في الله من أهل ذا المصر
كمثل ابن عفان المعظم قدركم
وذكركم عبد السلام أخي البر
كذلك إبراهيم وهو ابن مصطفى
كذلك سبحان أخي سالم الصدر
كذلك علي وابن منصور الرضي
وسائر أعواني على الخير والبر
كذلك علي عين أهل سفاقس
وفاضل من فيها الملقب بالنور
فبالله خذ ياسيدي بنواطر
على ما ترى نظماً وإن شئت بالثر
فلا زلت مأوى للفضائل ترتجي
ولا زال نهر المجد في أرضكم يجري

« فلما تأملها سيدي الوالد ، دفعها إلى وأمرني أن أجيزه عن إذنه حفظه
الله ورعاه ، فكتبت له هذه الأبيات » (39)

(39) نفس المصدر (الورقة 78 و ظ)

أيا سيداً قد حاز كل فضيلة
وعُظم بالنعماء والفضل والبر
ويا محرز المجد الذي فاح نشره
وملجأ هذا القطر في فادح الأمر
محمد المكني ابن عالم عصره
محط رحال الفاضلين مدى الدهر
وقد بلغت تلك المعاني كأنها
حلى زانها الصواغ من خالص التبر
وما رمتها منها فأهلاً ومرحباً
وإن لم أكن أهلاً فلتمس العذر
أقول وحمد الله أول منطقي
وذكرني ذكر الله في السر والجهر
أجزت لكم في كل ما قد رويته
وما قلت قبل من نظام ومن نثر
كذا الرفقاء الماجدون تعمهم
إجازتنا من قاطنين بذا المصر
كذا الماجد التحرير عين سفاقس
أبو الحسن النوري ذو المجد والفخر
وحدثكم في ذلكم عن شيوخنا
ذوي العلم والعرفان والفضل والقدر
ومن شاء يستحضر ففهرست لنا
تضيئ بهم كالأنجم الطلع الزهر
على شرطها المعتاد في كل ذروة
من الفهم والتحصيل والصدق في الذكر
فنسأل رب العرش أن يبلغ المنى
ويصلح شأن الطالبين ومن يُقرى

بجاه النبي الهاشمي محمد
عليه سلام عاطر طيب النشر
وأصحابه والآل طراً وصحبه
عليهم سلامي سرمداً دائماً الذكر⁽⁴⁰⁾

والحقيقة أننا إذا تركنا جانباً هذا المظهر الذي يدل على المكانة العلمية التي كانت لليوسي خارج حدود الوطن ، وعدنا للمظهرين الأولين اللذين يمثلان سلوكه ، سواء حين التحق بالزاوية الدلائية أو في فاس ، لألفيناها يكشفان عن واقع الثقافة في المغرب وموقع اليوسي فيه . بل إننا حين ننظر إلى أحدهما من خلال الآخر ، أي إلى اليوسي من خلال ثقافة العصر ، وإلى هذه من خلاله ، نجد أنه عاش في عصر كان المغرب يعاني فيه من الغرق الثقافي ، وهو الغرق الذي تجلّى في المرقعة التي حاولنا إبراز أهم قطعها ، بتتبع أهم البيئات التي كانت تحتضن الثقافة أو نوعاً ما من الثقافة ، مدرسية وشعبية .

وقد أتيج لليوسي ، ليس فقط أن يتتبع ملامح ثقافة عصره الموزعة ، بل ان يلتقطها ويضمها ويصهرها ، في محاولة توحيدية لم يكن أحد من معاصريه قادراً عليها ، إن لم أقل قادراً على تصورها والتفكير فيها ، فضلاً عن تجميع ما تقتضيه من عناصر متكاملة.

وهذه ميزة تكفي لجعل ثقافة اليوسي وشخصيته تتسمان بنمط خاص ، هو في النهاية أحد الملامح البارزة في حياته ، يضاف إلى السمات الأخرى التي ستحدث عنها في الفصلين الآتيين ، لتتبلور صورة ريادة اليوسي وتجديده في أبعادها المتعددة.

(40) ذيلت هذا الأبيات بقوله : « فكتبت تحنها وكتب عن اذن أبيه فلان ابن فلان ، فوقع تحنها ما نصه : صحيح ذلك ، وكتب الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له » (المصدر السابق)

الفصل الثاني

بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع

أتاحت لليوسي — على حد ما رأينا — عوامل وظروف كثيرة صقلت قدراته الإبداعية ونظّمت فعلها الخلاق ، بعضها كان ذا طبيعة ذاتية إلهامية ، وبعضها الآخر كان ذا طابع خارجي مكتسب .

وعلى الرغم من أن هذا الإطار المكتسب تسني — كله أو بعضه — لكثير غير اليوسي من أقرانه ومعاصريه ، إلا أنه كان عنده أقوى نفاذاً وتأثيراً وذا دلالة متميزة ، بسبب ما كان له من طاقة عقلية وشعورية جعلته يربط بين ذاته والعالم الخارجي بعلاقة توظيفية إنتاجية لم تلبث أن أفضت إلى سلوك معين وإبداع خاص .

وقد عرف اليوسي كيف يقوى هذه العلاقة بما كان له من فكر متفتح حي ومشاعر حساسة عميقة ، أي بما تبلور عنده من خلال معاناة مريرة في الحياة العامة والخاصة . وممارسة علمية وأدبية متعددة الجوانب والملامح ، لاسيما وأن المعاناة والممارسة اللتين مرّ منهنّ كانتا تتسمان بالضغط العنيف المثير عنده للتوتر والتفجير الإيجابييين ، أي من حيث أنّهما جعلاه يخوض غمار مصيره بثقافة وشخصية متميزتين ، وجعله بالتالي يبدع إنتاجاً متكاملًا ومنسجمًا في شكله ومضمونه مع تلك الشخصية والثقافة .

وإذا تركنا جانباً سلوك اليوسي المعبر بوضوح عن ذاتية خاصة ، سواء ما كان من هذا السلوك مرتبطاً بعلاقاته مع معاصريه من العلماء على حد ما رأينا في الفصل السابق ، أو ما كان متعلقاً بمواقفه وآرائه كما سنرى

بعد . ونظرنا بعمق وتمعن إلى التكوين الفكري والنفسي لليوسي ، فإننا نجد أن التصوف يشكل العنصر الذي يتمحور حوله هذا التكوين . وهي حقيقة ترجع إلى عوامل بيئية وراثية — داخلية وخارجية — واستعدادات مزاجية فطرية ومكتسبة ، نستطيع أن نذكر منها :

أولاً : الطبيعة القاسية لموطنه الأصلي في ملوية العليا وما خلفت في طبعه من صلابة وصرامة.

ثانياً : البداوة ونوعية التركيب الاجتماعي في قبيلة آيت يوسي والقرية التي نشأ فيها وما ترتب عليهما في نفسه وتكوينه من بساطة ووضوح ورهافة إحساس ورقة ذوق وصفاء نفس.

ثالثاً : حب الطبيعة والفرار إليها منذ الصغر حين كان يهرب من الكتاب القرآني ويلتجئ لاشك إلى البراري والحقول ، في ميل للتححر والانطلاق وإعمال النظر والتأمل.

رابعاً : تأله في سن مبكرة لموت والدته وما كان لهذا الموت من أثر على كيانه غير مجرى حياته.

خامساً : قراءته في المرحلة التعليمية الأولى لكتب التصوف ، وتعرفه إلى أحوال العباد والزهاد ، وهو في فترة المراهقة على استعداد للتأثر السريع .

سادساً : الخروج في رحلات متعددة للتعليم والزيارة.

سابعاً : إقامته في زوايا ، وخاصة الناصرية والدلائية ، واتصاله فيها بعلماء متصوفة كمحمد بن ناصر الذي أخذ عنه عهد الشاذلية ، وعلماء الزاوية الدلائية التي كانت صلتها قوية بالشاذلية وبشيوخ فيها كبار كالجزولي وزروق.

ثامنا : تعميق مأساة الدلاء لكل ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس .
وعلى الرغم مما قد يكون لهذه العوامل من أبعاد ذاتية ، فإنها كانت
تتحرك في عملية متشعبة داخل مجال أوسع بكثير مما نتصور ، يصل في
اتساعه إلى احتواء كل التنظيم الاجتماعي بجميع ما يؤلفه من ظواهر
 وأنماط .

وإذا كانت هذه العملية تتصدع عند كثيرين إلى حد يفصل فيه بين
الجانب الفردي والجانب الجمعي العام حتى ليستحيل الجمع بينهما في
غالب الأحيان ، كما يحدث عند بعض المتصوفة والشعراء — وقد يكونون
شعراء متصوفة في نفس الآن — أولئك الذين ينفصلون عن مجتمعاتهم
 ويشعرون نحوها بإحساس فوق يجعلهم يبتعدون عن الواقع ، منطوين على
أنفسهم في أبراج عاجية وصوامع نائية ، زاعمين أنهم ملتزمون بفهم أو
عبادتهم لذاتهم ليس غير ، فإننا نجد تلك العملية عند اليوسي — وهو
الجامع بين الشعر والتصوف — تلتئم بناء وتشكلا ورؤية وهدفا لتجعل منه
في النهاية الشاعر الصوفي الذي يمتاح من ذاته في تعمق لهذه الذات بكل
ما يعمل فيها من مثيرات ، دون أن يفقد خيوط الاتصال بالمجتمع
والانصهار فيه لامتداده بالعطاء والتزود منه كذلك ، طالما أنه يفكر فيه
وينسجم معه ويستقي منه ويعبر عنه ، بل طالما أنه يحاول التغلب على
أزماته التزيقية ويسعى للحفاظ على تكامله .

ومن ثم ، فإنه مهما بدت ملامح شعر اليوسي وتصوفه متسمة
بالفردية ، فإنها في حقيقتها ذات أبعاد اجتماعية ضمنية ، من حيث أنه عبّر
في هذا التصوف وذاك الشعر عن حياته ، ومن خلالها عن حياة المجتمع أو
خلاصتها على الأقل ، وكانت النزعات الصوفية طاغية عليه .

ومع أن اليوسي تناول في شعره بعض الأغراض التقليدية المعروفة ، من

مديح ونسيب وفخر ورثاء وحتى الهجاء⁽¹⁾ ، فإن موضوع التصوف ظل طاغياً عنده بكل ما يخدمه من مديح نبوي ومدح لأشياخه ، فضلاً عن جوانب الأسى والتأمل التي انبثقت من حنينه الدائم إلى موطنه وحزنه على الزاوية الدلائية وبكائه عليها في تأثير عميق .

وتنطلق الشاعرية الصوفية لليوسي من التعلق بالله وبجماه في حب تكشف عنه تعابير مستقاة من أدعية المتصوفة وأذكارهم التي يرددون ، على حد قوله : (2)

يا حبيب القلوب أنت ملاذي	يا رفيع النفوس أنت عمادي
أنت حصني وأنت كنتري وذخري	أنت سؤلي وبغيقي ومرادي
أنت ركني إذا تعدد بالشعب	نب نسيب وأنت ذخري وزادي
أنت سعي وأنت جندي إذا ما	جار أهل السيوف والأجناد
أنت أنسي وأنت منية نفسي	دون كل المنى وأنت استنادي
يا طيب القلوب داو فؤادي	واسقه ما سقيت أهل الوداد
أنت حسبي وحجتي وظهيري	ونصيري من كل جان وعاد

وهو في غمرة هذا الحب ، يسعى للوصال ، ملتذاً ومتشياً بالخمير الصوفية التي يقول فيها : (3)

قد سقينا من المدام كؤوساً مترعات صرفاً وصرفاً تشاب
من مدام بها الألباء تحيا ورؤوس الحفاة منها تشاب

(1) يبدو الهجاء عند اليوسي محصوراً في أبيات معدودة قالها يدعو على بعض خصومه ، في شبه رد على ما قد يكون صدر منهم ضده ، مثل ما وقع له مع بني عبد الواحد (الديوان ص 54) وأحد السجلماسيين (ص 77) وأحد أولى الأمر (ص 137) ، ومثل ما وقع له كذلك في فاس ، وقد سبق أن تناولناه بالتحليل في الفصل السابق .

(2) الديوان ص 49

(3) الديوان ص 7

مرة في النفوس كالصبر الم
تزدهي نشوة عليها وطوراً
ر وفي القلب حلوة تستطاب
تشتكي من خمارها الأوصاب
وفيها يقول كذلك : (4)

وكانت مداماة الوصال مداماة
تجاذب إخوان الصفاء كؤوسها
على القوم صرفاً لا مزيجاً ولا نزراً
فلا تحتشي منها خماراً ولا سكرأ
بل إنه يسعى إليها بلهف وهيام في مثل هذه الأبيات : (5)

واسقنا خمرة تعاطى قديماً
من كؤوس كانت تدار على
صرفها الذائقون صفو الشمال
الفتيان في كل ما زمان وجيل
من يذقها يوماً بهم بهواها
ويصر حلف لاجع وهول
راغب عن حليله وخليل
لم ينل جرعة بها من مُنيل
يالساقى الصهباء للذابل الضـ
ياغياث اللهفان أنت غياثي
أنت وردي إذا ظمئت وخصبي
عندما أنتحي بسرج هزيل

وفي حب مفعم بالروح الصوفية ينسج اليوسي مديحه للرسول عليه
السلام فيقول : (6)

محمد المهدي إلى الناس رحمة
نبي أئى والكون أسود مظلم
وسر الوجود الطاهر المتخير
فأصبح منه وهو أبلج نير
هو الدرة العصماء والكون جوهر

(4) الديوان ص 73

(5) الديوان ص 106

(6) الديوان ص 68 — 69

هو الروح فيه والحياة وكلما وإن كان حرز الأنبياء محصناً وما هم سوى عين يرى بشعاعها له المعجزات الباهرات ووجهه بيان تأدى للأصم سماعه

سواه من الأخوان جسم وصور فأحمد فيه بابہ المتنظر وانسانها هو النبي المطهر يرى صدقه من يستبين وينظر وأبصره للناس من ليس يبصر

...

أبعد ثناء الرب يرجى لواصف فأحمد خير الخلق غير مدافع وأحمد إنسان بالاسم وإنه وبالحجر الياقوت يسمى توسعا وأحمد سر الله في الخلق صانه

ثناء وإن جاء البليغ المكثر وأحمد حصن المتقين المسور ليعلو على الأملاك فضلاً ويكبر وأين من الياقوت في الفضل أحجر فلم يره أعمى ولا متبصر

...

وما هو إلا الشمس تشرق ضحوة محاسنه فوق الذي يعرف الورى وأنوارها تغشى العيون وتبهر فمن رame بالمدح فهو مقصر

وقد ينطلق المديح عنده من التوسل إلى الله بنبيه الكريم ، على حد قوله : (7)

توسل إلى الرحمن في كل نائب وخير عباد الله شرقاً ومغرباً من اختصه الله العظيم بسورة ومن ملأ الله الوجود بنوره وأدحض أوهام الأضاليل كلها وأجلجه في كل خطب وموطن

ملم بخير المرسلين الأطايب وبراً وبحراً من دؤابة غالب من المجد تسمو فوق هام الكواكب وطهره من كل رجس وعائب بفرقانه والمرهفات القواضب وأيده بالمعجزات العجائب

محمد المختار من ختمت به النبوة والأخبار من كل غائب
عليه صلاة الله ما درَّ شارق وما جنحت شهب الدُّجَا للمغرب
ويعتبر مدح أشياخه من الموضوعات التي تجلت فيها شاعرية اليوسي
وصوفية حبه وصدقته في التعبير ، كقوله يخاطب أبا عبد الله محمد بن أبي
بكر الدلائي المعروف بالمرابط ، في أسلوب يتوسل بالصورة والتشبيه
والرمز : (8)

يأيها الحب الذي سأقول قولاً إليه مجازه مقبول
إني لأصحتُ منك كما أتى شعر قديم لفظه معسول
وأشد ما لاقيتُ من ألم الهوى قرب الحبيب وما إليه سبيل
كالعير في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول
وتكاد تكون داليتَه في أبي عبد الله الناصر الدرعي أبرز قصائده في
هذا الباب ، وهي تضم أكثر من خمسمائة بيت : ومطلعها :
عرج بمنعرج الهضاب الورد بين اللصاب وبين ذات الأرمَد
فقد استهلها على طريقة القدماء في السفر إلى ديار الحبيبة والمرور بهذه
الديار وتذكر الأيام وتعزية النفس عما يصير إليه الإنسان . ولكنه حين
يصل إلى المدح يحول معانيه التقليدية إلى أفكار صوفية تلقي الضوء على
العمل الإصلاحية التصحيحية الذي كان ينهض به ممدوحه ، فيقول مثل
هذه الأبيات : (9)

غيث الورى الشيخ ابن ناصر الذي نصر الإلاه به شريعة أحمد
وأعاد وجه الدين أبيض مسفراً بهجا مُقراً عين كل موحد

(8) الديوان ص 103

(9) الديوان ص 29

وأقام سمك بنائه حتّى سما فوق السماك على الأواسي الوطد
وأزاح عنه كل حندس شبه وضلالة وخلاعة وتشدد
كم سنة أحييت بعد إماتة وضلالة أخدمت بعد توقد
وافيتَ والبدع الحوادث قد دجت ظلماتها والجهل وارى الأزند
والدين مطموس المعالم والهدى بيض الأنوق ولقطة لم تشد
والسنة الغراء قفر موحش ما فيه من هاد ولا من مهتد
أما حزنه على الزاوية الدلائية فله في نفسه أثر عميق لا يجد ما يعبر
عنه غير البكاء ، وان كان لا جدوى منه : (١٥)

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فيأبي ويعتاض العقيق بها حمرا
واسأله أن يكتم الوجد ساعة فيفشي وان اللوم آونة أغرا
وقد كنت أستصحيه حتّى توقدت جدى الوجد فاستسقيته بطفئ الجمرا
على أن دمع العين فضل حشاشة تذاب فهاذا ينفع الدمع أن يجرى
ولكنه في ميل لاستخراج الحكمة والوصية ، لا يرى ملاذه إلا بالله ،
على حد قوله في خاتمة القصيدة :

وفي الله للمرء اللبيب كفاية عن الناس والمحروم من حرم الأجر
فكن رائياً بالنفس عنهم ومقضيا بعين الحشا عما تكنفت الغبرا
ولا تجعلن في غير مولاك همة فنه ترى لو تعلم النفع والضرا
ويندو ميل الشاعر إلى التأمل والتفلسف واضحا في داليتة الناصرية ،
إذ يقول متحدثاً عن صراع الوجود الإنساني بين علوية الروح وسفلية
الجسم (١١) :

(١٥) الديوان ص 73

(١١) الديوان ص 22

ما المرء إلا ابن الثرى ولو ارتقى أفق السماء بسلم لم يخلد
شخص تكفه الثريا والثرى فالجسم كون من خسيس الحرمد
والروح كان نشوءه ونزوعه من ذلك الملاء العلي الأجد
فيحن ذاك لأرضه بتسفل ويحن ذا لسائه بتصعد
والمرء بينهما مخافة فرقة ونوى قدوف في المقيم المقعد

وهو يوجه طاقته التأملية في نفس القصيدة للنظر في حال المجتمع .
ويدين ما فيه من نفاق وتزييف ووهن في النفس وضعف الإيمان : (12)

ويح المشرف للمخسيس مجله ومذيل ذي الشرف الأثيل الأبعد
وحفيظ من هو للصدقة خائن وخؤون ذي الود الصني الأثلد
ولبائع حوراً حسناً خرداً عرباً بعظم في التراب مدود
ولراضع ثدي الهوى وسناه في ليل الضلالة خابط متردد
متخبط في تيه متصلف ومذبذب في نوكة متلدد
فطن بدنياه بصير ناقد ومتغافل في دينه متبلد
حرد إذا ما سيم خسفاً جاهه وإذا يسام إلهه لم يجرّد
متكاسل عن كل حق عاجز متشمر في كل ما بطل أد

ولعلنا لا نحتاج إلى كبير عناء لندرك ما يتسم به هذا الشعر من جزالة
ووضوح وبعد عن الإغراب ، إلا ما كان منه مُفرقاً في بعض المعاني
الصوفية . وحتى حين يرغب في استعمال الصور — وهي عنده قديمة تكاد
تكون جاهلية — فإنه يستحضرها بعفوية وتلقائية ودون أي تكلف ، على
حد ما تكشف هذه الأبيات التي توصل في تدقيق صورها بكل ما تسعفه
به الطبيعة وبالحركة والتجسيم والتشخيص : (13)

(12) الديوان ص 23

(13) الديوان ص 20 — 21

ما دوحة فينانة أو روضة
سحبت عليه ذبولها مزن الحيا
يسقي من الوسمي مُترع كأسه
من كل سابعة الذبول كأنها
نثر الجنوب جمائها فتقلدت
فتفقدت أنهارها وتفتقت
وتساجلت أطيارها وتمايلت
وجرى لطيف نسيمها برياضها
ما شئت من ثمر يلد ومنظر أ
وحباب جريال يخلخل ساق أمد
أو أمن ذي فرق خليع لبه
بألد من تلك الليالي لو محا

بخميلة أو في يفاع أنجد
وسخت عليه بكف واكفها الندى
ويصان من نسج الولي ببرجد
عكر تسام على الربى بالمرعد
لبب الرياض بحليها المتبدد
أزهارها في روضة المستأسد
أشجارها كالشمل المتميد
جري الزلال بغصنها المتأود
نق وصوت في الغصون مجسد
ود بها فحم الدوائب مماد
أو غفوة الإصباح للمتهدد
ما خطه الدبران سعد الا سعد

وكما جاء معظم شعره سهلاً ، فكذلك أتت قوافيه في الغالب : إلا ما
فرضه موقف معين ، كهذه الأبيات التي التزم في قافيتها ما لا يلزم ، والتي
قال عنها أنها جاءت ارتجالاً أو شبه ارتجال ، ولعله أنشأها في سياق
مساجلة مع الغير : (14)

يابن الكرام ما لليل الهجر
وما للمز في أو لهجر
من كل خب غير زاكي النجر
على التقي في سعيه والأجر
وبالمقام والصفاء والحجر
إن لم تلج ضباعهم في الوجر

من نحوكم ليس له من فجر
يصدر تم من لثام بُجر
ولا كريم ليس قط يحجري
أقسم بالكهف وآي الحجر
وبالذكاء والنهي والحجر
ولم تلد من خيفة بحجر

وإذا كان اليوسي قد أودع تصوفه اشعاره ، فإن ولعه به جعله يكتب عنه فصولاً في كتابيه (المحاضرات) و (القانون) ، كما جعله يحرق رسائل في موضوعه ، على حد ما تكشف عنه سيرته البليوغرافية . بل إن صوفية روحه وشفافية هذا الروح جعلتاه في مجال الكتابة والتحليل يتشرب المعاني ويتسرب إلى أعماقها ، محلاً ومستنبطاً ورابطاً بين المتناقضات في بعض الأحيان . ويتجلى ذلك في وقوفه مثلاً عند بيت امرئ القيس :

اللَّهُ انجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل

فقد كتب يقول : « خطر لي ذات ليلة بيت للملك الضليل امرئ القيس بن حجر فوجدته قد احتوى على مقتضى الشريعة الظاهرة والباطنة وتضمن كل ما تحصل من دواوين أئمة الدين وأقاويل الصوفية ، فقضيت العجب من ذلك ، وعلمت أن الله تعالى من باهر قدرته وعجيب حكمته يبرز الحكمة على لسان من شاء وإن لم يكن من أهلها ... فالشطر الأول قد احتوى على الحقيقة كلها وهي باطن الشريعة ، فإن معناه ان ما طلبته بالله فأنت منجح فيه ، وهو كما قال في الحكم العطائية : ما تعسر مطلب أنت طالبه ببرك وما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك . ومعلوم أنك لست تروم ذلك إلا وأنت تعرف الله تعالى وأنه حق لا شريك له وأنه هو الفاعل المدير النافع الضار ، ثم تفني عن نفسك وعن حولها وقوتها وتديرها واختيارها وتبقى ببرك ، وهذا هو سر العبودية ، وهو الكثر الذي يحوم حوله المريدون ويعنو إليه السالكون ، وهو المشار إليه في قوله ﷺ : لا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة . وهذا هو كلية الأمر ... والشطر الثاني قد تضمن الشريعة كلها ، وهو أن البر خير ما تحمله العبد وأدخره ، أي والفجور شر ما تحمله ، ويدخل في البر البر العبد مع ربه بطاعته له قولاً وفعلًا ، وكذا مع من أوجب الله طاعته من نبي وأمير وملك ووالد

ونحوهم ، وبره مع الناس بالإحسان فعلاً وقولاً وخلقاً ، وهو مجموع ما يطلب شرعاً»⁽¹⁵⁾ .

ومثل ذلك فعل مع بيت لبيد :⁽¹⁶⁾

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
ومع بيتي أبي نواس :

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني
فقد علق عليهما بقوله : « هذا مشرب عندهم في حق كهف الإيواء
من الأصفياء الأخفياء »⁽¹⁷⁾

أما معنى بيتي نفس الشاعر المشهورين اللذين يقول فيهما :
إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار
ففي رأيه أنه « صار عندهم موعظة في الإكثار من العمل الصالح
والتشمير للتزود للمعاد ، ولا سيما عند إيناس قرب الأجل وخشية فوات
الأمل »⁽¹⁸⁾ .

ومثل هذه التحليلات التي يسلك فيها اليوسي تأويل أهل الطريق
العارفين للكلام بما لم يرد على خاطر قائله ، كثيرة متشابهة ، يكفيننا أن
نضيف إليها تعقيبه على هذين البيتين :

لو كان لي مسعد بلراح يسعدني
لما انتظرت لشرب الراح أظفارا

(15) المحاضرات ص 53 — 54

(16) نفس المصدر

(17) المحاضرات ص 154

(18) نفس المصدر

الراح شيء شريف أنت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

فعنده أن « الراح... هنا هي الخمرة الربانية القلبية ، وهي لطف من الله تعالى ونور يرد على القلب ، فاستعاروا له اسم الخمر للشبه الواقع في اللذة والانفعال » (١٩)

* * *

وبنفس هذه الشفافية الصوفية ، وبمعرفة دقيقة بالمجتمع وأحواله ، ناتجة عن الملاحظة والإدراك ، وعن التعايش والالتحام ، يتعامل اليوسي مع الناس والأرض والأشياء ، فيلتقط الظواهر والمظاهر ، ويحس بالفوارق والخصوصيات ، ويسجل السمات المميزة لمختلف البيئات التي جال فيها ، ويرسم لوحات حية للحياة البشرية ، تبرز الملامح الاجتماعية والثقافية ، في انصهار مع المجتمع ينم عن نزعة جماهيرية تنساب عنده بعفوية وروحانية. ويكاد كتابه (المحاضرات) يعطى وحده — فضلاً عن بقية كتبه ورسائله — صورة نابضة وناطقة عن المغرب الواسع الذي عرفه ، من خلال لقطات عن عاداته وتقاليده ولغته وأمثاله وأشعاره وما إليها من ألوان ثقافية شعبية لم يكن ليدونها غيره ، خاصة في هذا العصر الذي تجمد فيه الفكر المغربي وتقلصت أبعاده وبحجرت عقول الفقهاء عند علوم معينة يجترونها ، بعيداً عن أي تفكير في تجاوزها إلى فنون مدرسية أخرى ، ودون أية قدرة على ذلك ؛ فكيف بما يدخل في نطاق العوام ، ولم يكن ينظر إليه — يومئذ وحتى عهد قريب — إلا بمنظار الاحتقار والازدراء ، باعتباره لا يمثل غير الجهل والانحطاط والإسفاف .

ويعتبر الشعر الملحون في طليعة الآثار الشعبية التي لفت اليوسي الأنظار إليها وإلى معانيها ، من خلال نماذج أوردها في سياق موضوعات وقضايا متعددة .

منها أنه أثناء رحلته الدراسية لقي في إحدى قرى ذكالة رجلاً مسناً عابداً زاهداً ، معظماً للعلم وأهله ، فأعجب به وأكثر مجالسته والاستماع إليه . ومما سجل عنه هذان البيتان⁽²⁰⁾ ، يصبره بهما على الغربة :

أنا الغريب المتوَّح صَابِرٌ أَعْلَى كُلِّ هَانَا
أَيْلَا نَخْرُجُ مَا نَقُولُ أَحْ فِي كَلْبٍ مِنْ قَطَعْتَ أَنَا
وَأُنْشِدُهُ كَذَلِكَ فِي مَدْحِ الْعِلْمِ :⁽²¹⁾

العلم شمعاً منيراً يتناولوه لكياس
ما فوق مَثْوٍ ادخيراً ايزُولُ عن القلب للذناس
وأورد اليوسي قول أحمد بن عبد الله بن مبارك ، نقلاً عن اعرابي لقيه :

أَيْلَا بُرْكَ لِي الزَّمَانُ وَارَكَبْتَ أَعْلِيهِ
وَاللِّي رَادَ بِي الْمَوْلَى نَلْكَاهُ أَعْرَاضَا
أَبْرَكَ لِي مَرْكُوبَ مَانِي دَارِي بِهِ
مَا نَحْسَابُ أَيَّامِي أَعْلَى مَغْتَاضَا
نُصْبِرُ لِحُكَامِ الْمَوْلَى حَتَّى تَنْقَاضِي

وأضاف شارحاً : « قوله مغتاضاً من الغيظ ، وأبدل من الظاء هنا ضاداً ... »

(20) المحاضرات ص 47.

(21) المحاضرات ص 48.

وقوله : نصبر لحكام المولى حتى تتفاض ، هذا هو أدب العبد ، وهو الصبر لأحكام الله تعالى والسكوت تحت مجاري الأقدار»⁽²²⁾
وأشده أبو القاسم بن بوعتل الشيباني الزراري هذا المقطع لبعض الأعراب :

ياراسي عيبك بان والي عيبو فوجهو ما يصيب ايدسو
كالوا علت ابندام شيطان ونانكول علت ابندام نفسو
اقبل لا يزيع ابليس أش يكون ابليسو

وقد علق عليه بقوله : « فانظر إلى هذا الأعرابي كيف غاص على معنى كبير ، وهو أن نفس الإنسان سبب هلاكه بإذن الله تعالى إلا من عصمه الله ، وكيف وقع على حجة برهانية وقياس منظوم في النفس ، وتقريره أن تقول لو كان كل زائع إنما يزيع بشيطان لكان ابليس حين زاغ إنما زاغ بابليس آخر ، والتالي باطل للزوم التسلسل ، فالمقدم مثله »⁽²³⁾

وبلغه « أن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التادلوي... فخرج إليهم وتحرك سماع ، فلم يشعروا به إلا وهو في وسطه يتواجد وليس عليه إلا القميص ، فقال بعض الجالسين لآخر سراً : هذا رجل خفيف ، فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال :

الله الله يا الله

الله الله يا لطيف

الحب ايهز الرجال

والله ماني اخفيف»⁽²⁴⁾

(22) نفسه

(23) المحاضرات ص 49

(24) المحاضرات ص 103

وكما عني اليوسي بالشعر الملحون ، فكذلك عني بالأمثال الشعبية ، إذ أثار الانتباه إليها مرة باللفظ وأخرى بالمعنى ، كلما اقتضى الأمر ذلك ، وخاصة في كتابه (زهر الأكّم في الأمثال والحكم) حيث قال شارحاً منهجه في التأليف : « فإذا فرغت من الأمثال ذكرت شيئاً مما يجري مجرى الأمثال الوقتية من غير تكلف ولا كبير تأمل ولا مراجعة ... » .⁽²⁵⁾

ففي تناوله للمثل : « إذا اشتريت فاذا ذكر السوق » قال : « وفي معناه قول العامة اليوم لاشرى تبيع » .⁽²⁶⁾

وحين أورد المثل : « ياكلك الأسد ولا يأكلك الكلب » ذكر أن « هذا المثل باق اليوم في ألسنة العوام ، يقولون من أكله السبع خير ممن أكله الذيب » .⁽²⁷⁾

وعلق على المثل « يُبلغ الحَضْم بالقضم » بقوله : « وللعمامة في نحو هذا أمثال كثيرة منها قولهم : المهل يبلغ ، وقولهم : الراحة تنزل شيئاً فشيئاً ، وأصله في المريض ؛ وقولهم : لا يحجّ دفعة واحدة إلا الموت ، وقولهم : قطرة إلى قطرة فيسيل النهر ، وقولهم : امش بالنعلين حتى تجد السباط ، أي الخفين » .⁽²⁸⁾

وعلى ذكره للمثل : « الذئب يُعَبِّط بذئ بطنه » عقب بأن « نحو هذا في أمثال العامة قولهم : من رأى الجمل الأبيض ظنه كله شحاً » .⁽²⁹⁾
كما عقب على المثل : « رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَب رَيْثاً » بأنه « في ألسنة العوام اليوم موجود معناه ، يقولون : من عجل ابطأ » .⁽³⁰⁾

(25) زهر الأكّم 71 د 1 ص 56

(26) زهر الأكّم 2 ص 73

(27) زهر الأكّم 2 ص 78

(28) زهر الأكّم 2 ص 204 والخضم الأكل بجميع الفم

(29) زهر الأكّم 2 ص 266

(30) زهر الأكّم 2 ص 298

وعناية اليوسفي بالأمثال الشعبية جعلته يسوقها في غير (زهر الأكم) ،
على حد ما فعل في (الفهرست) ، إذ أورد منها : « ينسى الرأس ولا
ينسى الكراس »⁽³¹⁾ و « لو كان في المغرب خلتين ما تباع القمح
بدرهمين ».⁽³²⁾

وهو في هذا المضمار ، يعير اهتماماً دقيقاً لخصائص النطق في التعبير
العامي لهذا الإقليم أو ذاك ، على نحو ما تكشف عنه هذه الفقرة التي يقول
فيها : « من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة إلى جبال الزيب وسفرات
أخرى لزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه أني سمعت لغة
لأهل تلك الجبال يكسرون آخر الموقوف عليه ، فتتبعها استقراء فوجدتها لها
ضابط . وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه
على غير وجه ، وينسبون إليهم ما لا يقولون ، جهلاً منهم بضوابطه ،
فإنهم لا يكسرون إلا الفتحة بعدها ألف . أما الألف المقصورة كالدينا ،
أو الممدودة كالسماء والطلباء والشرقاء ، والأصلية كالماء ، أو المقلوبة عن
هاء التأنيث في مجرى العرف كالبقرة والشجرة والصفحة ، فإن العوام من
غيرهم يقولون في الوقف على هذه : البقرا والشجرا بألف ، وهؤلاء
يكسرون فيقولون : البقري والشجري ، وتنقلب الألف ياء ، وهذا كله في
الوقف ، فإن وصلوا نطقوا بالألف كغيرهم ، وإن لم يكن الفتح ولا ألف
كالشجر والبقر مراداً به الجنس وقفوا بالسكون كغيرهم ».⁽³³⁾

ويدخل في هذا النطاق ذكره لبعض الكلمات كـ : « الخليع »⁽³⁴⁾ و

(31) الفهرست ص 104

(32) الفهرست ص 143 والخلة موضع أسفل درعة

(33) المحاضرات ص 141

(34) المحاضرات ص 77

« الشرلويط »⁽³⁵⁾ و « الزريبة »⁽³⁶⁾ و « الخالص »⁽³⁷⁾ و « الكسكسو » الذي قال عنه إنه يكتب كذلك بالنون : « الكسكسون »⁽³⁸⁾.

وحديثه عن الطعام جعله يتحدث عن التداوي ببعض الأكلات الشعبية المعتاد عليها ، على حد ما يحكى عن نفسه اذ يقول : « دخلنا مدينة فاس ... فأصابني إسهال مفرط وطال بي ، وكان الطبيب يعتني بأمري ، فلم يترك من دواء يستحسنه إلا صنعه لي ، فلما لم يفد ذلك أرسل في غيبة مني إلى عيالي يقول لهم إن كان لهم من الطعام ما يعتاده في بلده ، فذكروا له الاقط واصطنعوا عليه طعاماً فأكلته فعفاني الله تعالى . وقد أصابني مرة أخرى ذلك فدخلت على السلطان رشيد بن الشريف ... فرأى تغيراً في وجهي فسألني فأخبرته ، فقال : وماذا صنعت من علاج ؟ فقلت له إن الطبيب يصنع لي شراب الريحان ، فتضحك ثم قال : سبحان الله مالك ولشراب الريحان وأين عهدته ؟ خذ سوق الشعير واخبطه بالماء فذاك دواؤه »⁽³⁹⁾

كما أن حديثه عن الأطعمة جعله يتحدث — من خلال حكاية شعبية — عن بعض الأكلات وارتباطها بالعادات ، وفي ذلك يقول : « دخلت في أعوام الستين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم ، وأنا إذذاك صغير السن ، فخرجت يوماً إلى الرحبة أنظر إلى المداحين ، فوقف على رجل مسن عليه حلقة عظيمة ، وإذا هو مشغل بحكاية الأمور المضحكة ، فكان أول ما قرع سمعي منه أن قال : اجتمع

(35) المحاضرات ص 91

(36) المحاضرات ص 107

(37) المحاضرات ص 68 ورسالة (جواب الكتاب) ص 25

(38) المحاضرات ص 66 — 67

(39) المحاضرات ص 66 — 67

الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدرراوي ، فقالوا : تعالوا فليذكر كل منا ما يشتهي من الطعام . ثم ذكر ما تمناه كل واحد بلغة بلده وما يناسب بلده ، ولا أدري إذا كان ذلك في الوجود أم شيء قدّرهُ وهو كذلك يكون . وحاصله أن الفاسي تمنى مرق الحمام ولا ينبغي الزحام ، والمراكشي تمنى الخالص واللحم الغنمي ، والعربي تمنى البركوكش بالحليب والزبد ، والبربري تمنى عصيدة أيلي وهو صنف من الذرة بالزيت ، والدرراوي تمنى تمر الفقوس في تجمدرت ، وهو موضع بدرعة يكون فيه تمر فاخر ، مع حريرة أمه زهرا ، وحاصله تمر جيد وحريرة . ولو عرضت هذه الحريرة على العربي لم يشربها إلا من فاقة ، إذ لا يعتادها مع الاختيار ، ولو عرضت العصيدة على الفاسي لارتعدت فرائصه من رؤيتها وهكذا» (40).

وقد عرض لبعض هذه العوائد في رسالته (جواب الكتاب) ، وهو يعدد أسباب استئقاله لسكني مدينة فاس ، إذ ذكر « منها فساد طبع العيال والأولاد والأصحاب ونحشى ذلك نحن أيضا في أنفسنا من جهات : إحداها تعلم الشهوات والاتساع فيها ، وإن كنا بالبادية لا نعرفها ، ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا قانعين به ، يلبسون الصوف الخشن ويأكلون البرتارة والشعير أخرى والدخن أخرى والتمر أخرى والبلوط وحب العرعار أخرى ، حامدين شاكرين ؛ ما رأوا قط لباب البر ولا إبزاراً ولا عطراً ولا كناناً ولا ملفاً ... ثانيها الوقاحة في ذلك وقلة الحياء ، فقد كنا في البادية تستحي المرأة أن تطلب اللحم فكيف بما وراءه ، ولكن تتشوف إلى المواسم أو ضيف نزل فيذبح له أو يشتري له أو انفاق يأتي به الله من غير استدعاء ، فوجدنا المرأة في الحاضرة تراعى الباب وتقول للرجل : انفق وارجع للسوق ، ولا تسمع إلا سوق اللحم ، سوق الحوت ، سوق

الزعفران ، وهكذا . وإن لم يكن ذلك وقع التداعى وجاء رجل القاضي ... ثالثها أن يتعلم الصبيان اللؤم والبخل وقلة السباحة كما هو دأب أهل الحاضرة ، وما فسدت طبائع العرب إلا في الحواضر ... »⁽⁴¹⁾

ومن العادات والتقاليد الشعبية ذكر اليوسي عادة عقد الأنكحة في المسجد بسجلماسة⁽⁴²⁾ ، وعادة إطعام الطعام في الزوايا . فقد « شاع اليوم إقامة الصوفية في الزوايا بإطعام الطعام ، ولاسيما في بلادنا المغربية ، وخصوصا في البوادي ، وما يكون من فتوح يأتي به إلى يد الشيخ ، وهوينفق منه على المجاورين والواردين . وهذا قد كان فيهم من قديم »⁽⁴³⁾ .

كما ذكر عادة التطير من السواد كعدم زجر الكلب الأسود . والتشاؤم من الغربان ، وعدم ارتداء الثوب الأسود ، وعدم ركوب الفرس الأدهم.⁽⁴⁴⁾ وانطلق منها ليتناول الحديث النبوي الشريف : « لا عدوى ولا طيرة » ، وفي ذلك قال : « فالحق عندنا في تأويله أنه إثبات لانفراد المولى جل بكل التأثير وألا تأثير لشيء مما يتوهم العرب أنه مؤثر لا في باب العدوى ولا في باب الطيرة لا انه نفي لما جرت العادة بوجوده »⁽⁴⁵⁾

ومع ذلك فهو يحارب العادات القبيحة . مثلاً لذلك بما « حكى عن بعض الناس أنهم ما يذبحون الضحية وأنهم متى ذبحوها أصابتهم مصيبة . فلما اعتادوا ذلك تركوها . فتبادوا على هذا الضلال حتى انتهى الأمر إلى رجل منهم موفق فقال : والله لا أترك السنة ولأضحى . فلما ضحى يبست

(41) رسالة (جواب الكتاب) ص 22 — 23

(42) المحاضرات ص 60

(43) المحاضرات ص 117

(44) المحاضرات ص 80

(45) المحاضرات ص 82

يده اليمنى ، فقالوا : هذا الذي حذرناك ؟ قال : لا أبالي . فلما أُنْتَه الضحية من قابل ضحى أيضا ، فبيست يده الأخرى . فلما ضحى الثالثة بيست رجله . ولما ضحى الرابعة بيست رجله الأخرى . ولما ضحى الخامسة انطلق ولم يبق به بأس ، وانقطعت تلك العادة الباطلة ، وتبين أنه شيطان يعبث بهم ويفسد عليهم دينهم» (46)

وإذا كان اليوسي ينطلق في نزعته الشعبية هذه بشيء من العفوية والتلقائية ، كما ذكرنا من قبل ، فإنه كان يتحرك كذلك بوعي يجعله يراعي الجماهير ويدخلها في اعتباره ، على حد ما تكشف عنه الفقرة التي يتحدث فيها عن التبرك بآثار الصالحين ، والتي يقول فيها : « ورأيت في بلاد المصامدة ، وخصوصاً في بلد رجراجة من هذا كثيراً ، بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف ، عند ما يدورون على صلحاءهم زائرين . ولما حضرت معهم في الدور ... سنة خمس وتسعين وألف ، لم أرافقهم في فعل كثير مما يفعلون ، مخافة أن يتخذني العوام حجة فيبالغون في ذلك » (47)

وهو من أجل ذلك يرى ضرورة تبسيط القضايا عند تلقينها للعامة ، وخاصة في مجال العقيدة ، منطلقاً من أن « ... من كانت له قابلية في الفهم والنظر فحسن منه أن ينظر لكل عقيدة في دليل اجمالي تطمئن به النفس . ومن لا طاقة له بذلك فلا يطلب به . وإنما لم أذكر لكم الأدلة في هذه الرسالة مخافة أن أهول بها على من لا يقدر عليها » . (48)

وكمثال على منهجه التبسيطي في التلقين نورد ما حكى عن إحدى زياراته لسجلماسة . حيث وجد أن طلبتها « نظروا في كلام من حرص من الأئمة على النظر في علم التوحيد وحذر من الجهل فيه ومن التقليد ،

(46) المحاضرات ص 85 — 86

(47) المحاضرات ص 37

(48) الرسالة الأسفية ق 302 ص 336

فجعلوا يسألون الناس عما يعتقدون ويكلفونهم الجواب والإجابة عن الصواب ، فربما عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه أو متدلجج اللسان لدهش ناله أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة أو يظنونه قادحاً ، وإن لم يقدح فيشنعون عليه الجهل والكفر ، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس ، وجعلوا يقررون العقائد للعوام ، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررونه فهو كافر ؛ وشاع عندهم أن من لم يعرف (لا إله إلا الله) أي النبي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر . فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم وهول كبير . فلما دخلت البلد جاءني الناس أفواجا يشتكون من هذا وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء ، فأقول لهم إن الله تعالى إنما تعبدكم باعتقاد الحق في أنفسكم : أفلا تشهدون أن الله تعالى حق ؟ فيقولون : بلى ، أفلا تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبود سواه باطل ؟ فيقولون : بلى هذا كله يقين عندنا لا نشك فيه ولا نرتاب . فأقول لهم : هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده سواء عرفتوه من لفظها أولا ... ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر عنها في كتب العلماء ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها ، فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقارير علم آخر لم يكلف به العوام ... » (49)

ولم يكن منهج اليوسي في التلقين يعتمد التبسيط فقط ، ولكنه كان يعتمد التدرج كذلك مع مراعاة شعور الملحق له فقد حدثه « بعض الفقراء عن شيخ له من أهل العصر المتصدر لصحبة المريدين انه بينما هو جالس في محله جاءه فقير غريب وأظنه قال من ناحية السوس الأقصى ، فلما قرب

منه تكلم لبعض من كان حاضراً بلسانه البربري ، فقال له : قل لذلك الرجل — يعني الشيخ المذكور — أما بقيت في الدنيا مصابيح يقتبس الضوء منها ؟ فبلغ الرجل ذلك للشيخ ، فقال الشيخ : قل له قد بقيت ولكن من جاء يقتبس أتي بفتيلة مبلولة . فقال الفقير : قل له ما معنى بللها ؟ فقال الشيخ : قل له لا أقل من أن يطلب أو يترجى الولاية . قال : فوضع الفقير يده على جبهته ساعة ثم انصرف من هنالك . فلما رأيت الفقير الذي حدثني تبجح بهذا الكلام الصادر من شيخه وجعله من التنبيهات المهمة للسالك ، وكنت جاريته كلاماً في استحلاء الطاعة فقال : ان تلك الحلاوة علة . وعلمت أنه أيضاً قد بني على ذلك ، وأنهم سمعوا نحو قول الواسطي رحمه الله : استحلاء الطاعات سموم قاتلة . فأردت أن أنبه على غلط يخشى في هذا الأمر ، فأقول ... إن كلا من الكلام الواقع للواسطي والواقع من هذا الشيخ صحيح في نفسه ، وهو تحقيق في بابه وعند أربابه ، أما إلقاؤه لعوام المتوجهين فغلط في التربية إما جهلاً وقصوراً وإما تمويهاً وتظاهراً بالنهايات . أما حديث الولاية فن وجهين : الأول أن التدرج معتبر عند الناس وهو حكمة الله البالغة الجارية في الناميات الحسنيات والمعنويات ، ثم ارتكاب أخف الضررين مطلوب شرعاً (50)

ويضيف اليوسي في شرح رأيه بضرورة التدرج في تلقين العوام وإغرائهم وعدم تنفيرهم أنه لو « ... ألزمنا هذا عزل النفس عن الحظوظ وتجريد القلب للحقيقة ، أوشك أن تحيص نفسه حيصه وهي لم تزل قوية ، فيعود من حيث جاء . ولعلك تفهم بهذا سر امتلاء كتاب الله تعالى بذكر الجنة وما فيها من الحور والقصور والغلمان والأنهار . فإن الدعاء بمثل

هذا هو مشرب النفس ، وهو حال عامة الخلق ، والله تعالى أعلم بمصالح عباده . ثم إنه إذا ارتفع المريد عن هذه الحالة واشرب إلى ما وصل إليه العارفون وانتفض لسلوك هذا المسلك والاشتغال بعمله من العزلة والصمت والجوع والسهر : فلو توهما فيه التشوف إلى حصول الوصول أو الولاية أو المعرفة أو الفتح أو القرب أو نحو ذلك ، فلا ينبغي أيضا أن نعاجله بالتحقيق ونطالبه بالعبودية والفناء عن الأغيار من أول وهلة . بل نرعى له العنان حتى يتمكن في الرياضة وتنقاد نفسه ويقشعر جلده وقلبه لذكر الله . فعند ذلك يسهل إشالته مع السابقة والتوفيق اما على لسان شيخ ناصح أو أخ صالح أو بعض من ينصره الله به »⁽⁵¹⁾

ولعلنا بعد هذا لا نستغرب من تجاوب الجماهير معه وإقبالها عليه بشكل كان يزعج السلطة الحاكمة باستمرار . فقد : « كان حينما قرأ يطبق الناس عليه ويغص مجلسه بالخلائق مع ميلان العامة إليه . فكان لأجل ذلك ينقله السلطان من موضع إلى آخر »⁽⁵²⁾ . « ورزق الإقبال من الخلق فيجتمع عليه الجمل الغفير حيث أقام ، حتى كان السلطان لا يتركه أن يقر في مزار ، بل يأمره بالرحيل في أقرب مدة من الموضع الذي استقر فيه إلى موضع آخر »⁽⁵³⁾ .

(51) نفس المصدر

(52) الدر المنضد للكردودي 1584 د الورقة 317 و

(53) التقاط الدرر للقادري 676 د ص 64

الفصل الثالث

مواقف جريئة وآراء صريحة

عاش اليوسي في عصر يغلي بالأحداث والتحولات السياسية والثقافية ، ويسعى في البحث عن بنيات جديدة يأخذ بها طريقه نحو الانضباط والاستقرار ، وكان يشعر بمسؤوليته نحو مجتمعه بجهاهيره وقياداته الحاكمة والمفكرة.

ومن ثم ، فإنه بفكر علمي مستقيم ونفسية متقدمة أبية وروح صوفية شفافة وشجاعة أدبية جريئة ، طرح كل الإشكاليات التي تولدت عن هذا الوضع ، بما في ذلك نظام الحكم الذي حاول توجيهه وتنبيهه ولفت نظره إلى ما يقومه ويصححه ويحقق له المشروعية والشعبية.

وقد شهد له بذلك المؤرخون والدارسون ، فوصفه الكردودي بأنه « كان قوالياً للحق يخاطب به السلطان ولا يبالي »⁽¹⁾ وقال عنه القادري انه « كان ماهراً في المعقول والمنقول بجرأ زائراً لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وقد بالغ في الذب عن الشريعة والحرص على تقرير أصولها الرفيعة ، فقد كان سيفاً من سيوف الدين وقاطعاً للحجج المبطلين ، لا يخاطب السلطان إلا بصريح الحق مشافهة ومكاثبة »⁽²⁾

وذكره الزباني مع معاصريه من قضاة العدل كعبد السلام جسوس

(1) الدر المنضد الورقة 217 ظ

(2) التقاط الدرر ص 64

والحسن بن رحال وسعيد العميري ، وزاد فاعتبره « سابق حليتهم في الأمر المعروف والنهي عن المنكر والإقدام على السلطان ، يقول الحق والنكير على الولاة فيما يرتكبونه من الجور على الرعايا ... فإنه كان كثيراً ما يخاطب السلطان في النوازل والحوادث تارة بوجه الشفاعة وتارة بالوعظ ومرة بالنكير ، ولاقي منه مكاره تارة بالعتب وتارة بالرد وتارة بالهجران ، وكان لا يرده ذلك عن مخاطبته »⁽³⁾.

وكان ابن زاكور قد وصفه في إحدى قصائده المدحية بمثل هذه الأبيات :⁽⁴⁾

يعنو له الجبار ذو البتار وهو به مقلد
ويباهه من لم يذق لوداده طعماً فيُرعِد
...
وأباد من سحب الجهالة ما تكاثف أو تكلد

ورمى الضلال بأسهم من سنة الهادي فأقصد
وإذا نحن أمعنا النظر فيما صدر عن اليوسي من مواقف وآراء إصلاحية بل ثورية ، ألفيناها تنطلق عنده من مبادئ تعتمد الحديث النبوي القائل : « صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس : الأمراء والعلماء . وقد فسدوا جميعاً ، وإلى الله المشتكى . وكان الأمر يصلح بأئمة العدل وفقه الفقهاء وأدب الصوفية ، وقد فسد هؤلاء الثلاثة بالجور والمداينة والبدعة ، ففسد الدين بهم أولاً والدنيا ثانياً ، كما قيل : وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

(3) تحفة الأعلام ك 224 ص 162

(4) الديوان ص 40 — 41 ، وانظر كذلك رياض الورد ص 22

وباعوا النفوس ولم يرتجوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد وقع القوم في جيفة يبين لدى العقل انثائها»⁽⁵⁾.
ويتضح من هذا القول الملخص لنظرية اليوسي : أن مواقفه وآراءه
تسير في اتجاهات ثلاثة :

أولاً : سنته ومحاربه للبدع والخرافات واجتهاده الفقهي
ثانياً ربطه بين العلم والعمل ومسؤولية العلماء الجهادية
ثالثاً : انتقاده للسلطان وتوجيهه له.

* * *

أما سنته فتم عنها القضايا العقدية التي تناول في كتبه ورسائله
التوحيدية ، كما تم عنها أقواله وتوجيهاته التي كان يدعو فيها دائماً إلى اتباع
السنة باعتبارها السبيل الأقوم ، وباعتبار صاحبها عليه السلام وخلفائه من
بعده خير من يقتدى بهم .

فهو لا يلبث يسأل الله تعالى « أن يجمعنا على السنة
والاستقامة... واتباع سنته قولاً وفعلًا واعتقاداً ، وذلك هو سبب الفلاح
والنجاة لا غير»⁽⁶⁾ وهو يؤكد أنه ﷺ « هو القدوة في أقواله وأفعاله
وتقاريره ، وكانت القدوة بعده من شهد الله له ورسوله ﷺ . قال
تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) وقال تعالى : (ومن يتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) إلى غير ذلك من
الآيات . وقال ﷺ : اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، وهما
حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى . وقال ﷺ :
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ .

(5) المحاضرات 106 — 107

(6) رسالته إلى أهل بلد كارت ص 342

وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،
والضلالة وصاحبها في النار»⁽⁷⁾

ومثل هذا الموقف الواضح كان لاشك يفرض على اليوسي مسؤولية
محاربة كل تلك البدع والضلالات ، والتوعية بها على صعيد الجماهير التي
كانت يومئذ تعيش اضطراباً فكرياً وعقدياً نتيجة انتشار الشعوذة والتدجيل
المختلفين وراء ستار التصوف ؛ وإن كان يرى أنه « ما زال التمسك بالسنة
المحمدية بمغربنا والحمد لله ، وظهور الحق والعدل وتغيير المنكر وإخفائه لمن
ابتلى بشيء من ذلك بخلاف هذه البلاد ... »⁽⁸⁾

وقد ظهرت حرب اليوسي للانحرافات الدينية في أكثر من مناسبة ،
فلذا حديثه عن الشجرة الخضراء التي اشتهرت بسجلامة وكثر تعلق الناس
بها إلى حد أمر بعض الفقهاء بقطعها ، يقول : « فليعلم الناظر أنها إنما هي
شجرة لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، ومثلها أحق أن يقطع ».⁽⁹⁾
وهو ينبه على الرجل الذي ظهر في سجلامة ، وشاع عنه أنه ولي وأنه
صاحب الوقت ، وخرج الناس لرؤيته ، وكذلك أمير البلد ؛ وتعذرت
رؤيته فدخل قبة في المقابر « فأخرج كفه من طاق في القبة فجعل الناس
يقبلون الكف وينصرفون ... ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب إلى ناحية الغرفة ،
وأنه سقط في بئر هنالك ومات . فظهر أنه رجل مصاب ، وكان يشتغل
باستخدام الجان ونحو ذلك فهلك »⁽¹⁰⁾ . ومثله الرجل المدعي الصلاح
بهسكورة . وهو يفعل الفاحشة⁽¹¹⁾ ؛ وكذلك الرجل الذي كان يعد

(7) رسالة ندب الملوك إلى العدل 364 د ص 221

(8) الرحلة الورقة 100 و (والمقصود بهذه البلاد مصر)

(9) المحاضرات 36

(10) المحاضرات 38 — 39

(11) المحاضرات 39

الناس بأن يبلغهم إلى مكة ويحج بهم في طرفة عين . ولكن بعض الأشراف اختبروه وطردهوه بعد أن قبل رفع الصلاة عن أحدهم مقابل مبلغ من المال ، ثم تبين بعد ذلك أنه يهودي .⁽¹²⁾

وكان إحساس اليوسي بوجوب محاربة كل الشوائب والخرافات يحثه على ربط هذا الوجوب بمسؤولية العالم في المجتمع ، ويجعله يرى أنه « إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله »⁽¹³⁾

ومع ذلك ، وعلى الرغم من أن رأي اليوسي وموقفه واضحان بما لا يدع مجالاً لأي شك في عقيدته وسلوكه ، فإنه تعرض لبعض الطعن من لدن بعض الكتاب الذين لم يتصوروا إمكان توفيقه بين السنية والتصوف ، في خلط عندهم بين التصوف السني التعبدى القائم على الاقتداء بالرسول عليه السلام والعمل بما يرضي الله ويقرب إليه بعلم ومعرفة ، وبين طريقة الجاهل المشعوذين ؛ والسبب أن الخيط بينهما رفيع دقيق لا يستطيع إدراكه من لم يقف على حقيقة التصوف .

ومن ثم ، فإن اليوسي لم يضق بهذا الطعن ، ورد على متهميه ، مدافعاً عن نفسه بموضوعية ، ومحاولاً في نفس الوقت أن يبين المعنى الحقيقي للتصوف . أو ما عبر عنه بـ (تفقرت) . وفي ذلك يقول : « ... وأما قول الكتاب : وأردت أن تدنس العلم وتنجسه بتفقرت الخ ، فأقول : لا بد أن يبحث عن معنى تفقرت المذكورة لتعرف ، فإن الحكم على الشيء فرع تصوره . فإن أريد بها أحوال الجاهل من المبتدعين المدعين بغير علم ولا دين ، فلا شك أنها نجاسة وقذارة ، ونحن لا نريدها بل نعوذ بالله منها ومن

(12) المحاضرات 39 — 40

(13) المحاضرات 40

أهلها . وإن ادعاها أحد علينا لابد أن ينص لنا على عين ما ارتكبهنا من ذلك لنعرفه فنتوب إلى الله منه إن وفقنا ، وإلا فلا يجوز أن يظن بالمسلم السوء وينسب إلى ارتكاب ما لم يرتكب . وإن أريد بها العمل لله بما يرضي من حيث يرضي ، والسلوك على المنهج المرضي عند أرباب الطريق أو المعرفة أو المشاهدة ، فلاشك أنها بهذا المعنى ليست بنجاسة ولا تنجس العلم ، بل هي ثمرة العلم ولبابه ، وهي أحد ركني الدين . فإن الشريعة لها ظاهر وهو للفقهاء ، وباطن وهو للصوفية ؛ وإنما يكمل الأمر بهما معاً . ولهذا يقال : من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق . فمن أنكر هذا وجعله نجاسة أو جعل صاحبه داخلاً في حزب الشياطين فقد أنكر الشريعة» (14) .

وهو في عرضه لأحوال الجهال المضللين لا يكتفي بالتلميح والإشارة ؛ بل يطرحها بوضوح من خلال أنماط تدجيلية واقعية تعيش وسط المجتمع ؛ مستغلة بساطة بعض أفراده « ... فما شئت أن تلقى جاهلاً مسرفاً على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة ، فضلاً عن أن يعمل به ، فضلاً عن أن يخلص إلى الباطن ، فضلاً عن أن يكون صاحب حال ، فضلاً عن أن يكون صاحب مقام ، إلا وجدته يصول ويقول وينابذ المعقول والمنقول ، وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بجلية أبيه ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة ، بل لمجرد حطام الدنيا ، فيقول : خدام أبي وزريبة أبي ، ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ، ولا يقبل أن يحبوا أحداً في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره . وإذا رأى من يخرج يطلب دينه

(14) رسالة (جواب الكتاب) ص 63 . وحته على الجمع بين التفقه والتكلم والتصوف وارد في مواطن كثيرة يكفي أن نذكر منها قوله في رسالته إلى أهل بلد كارت : « وعليكم بالتعلم والسؤال عما لا تعلمون . ولا تكتفوا بعقولكم وقلدوا الفقهاء في الأحكام الشرعية من الديانات والحلال والحرام ، والتكلمين من أهل السنة في العقائد الدينية ، ولا تقلدوا في الآداب وصلاح القلب إلا أرباب القلوب » (ق 302 ص 348)

أو من يدلّه على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله ، وقد يقع له عليه شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه ، فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالاً . ثم يخترق لهم من الخرافات والأمور المعتادات ما يدعيه سيرة وديننا يستهديهم به ثم يضمن لهم الجنة على مساوئ أعمالهم : والشفاعة يوم الحشر ، ويقبض على لحمه ذراعه فيقول للجاهل مثله : أنت من هذه اللحمية . فيكتفي جهال العوام بذلك ، وييقنون في خدمته ولداً عن والد ، قائلين : نحن خدام الدار الفلانية وفي زريبة فلان لا نخرج عنها وكذا وجدنا آبائنا . وهذا هو الضلال المبين ، وهؤلاء قطاع العباد عن الله تعالى وعن دينه ... » (15)

ويذهب الموقف باليوسي بعيداً إلى حد أن يقول : « فكم من ولي لله تعالى في وسطه زنار ، وكم من كافر يؤذن فوق المنار » (16)

ويخلص من ذلك إلى مثل هذا التوجيه الداخل في نطاق مواجهة المبتدعين ، وفي نطاق توعية الجماهير كذلك : (17)

ياأيها الناس اعلموا انما عبد الإلاه الظافر الناجح
من يعبد الله ويعني بما يعنيه لاوانٍ ولا مازح
ولا أخو دعوى ولا مفتر ولا بمرتع الهوى سارح

والمرء لا يحني سوى غرسه غاد إليه كسبه رائح

وما على المرء سوى جده وجهده وربّه المانح

(15) المحاضرات 107 - 108

(16) المحاضرات 116

(17) المحاضرات 110 - 111

ومع ذلك ، فإن اليوسي يتخذ موقفاً وسطاً يجعله يفرق بين المدجلين المشعوذين وبين أولياء الله الصالحين ، ويجعله بالتالي يتبرك بآثار هؤلاء بإيمان وحجية ، وإن في غير غلو ، حتّى لا يقتدى به العوام فيزيدون على ذلك وبيالغون .

فعنده ان «...التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به وله أصل في فعل الصحابة رضوان الله عليهم... ورأيت في بلاد المصامدة ، وخصوصاً في بلاد رجراجة من هذا كثيراً بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين . ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة... سنة خمس وتسعين وألف لم أرافقهم في فعل كثير مما يفعلون مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك . ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمر قريية لا بأس بها» .⁽¹⁸⁾

ولدا حديثه عن الأشياخ عبد السلام بن مشيش وأبي يعزى وأبي سلهام وأبي القاسم الجزولي وابن ياسين الدغوشي ومحمد الشرقي⁽¹⁹⁾ ، يؤكد أنهم مجربون في قضاء الحاجات . وقد وجد المولى ادريس أيام مقامه في مدينة فاس «ترياقاً مجرباً في كل ما أنزل به من حاجة»⁽²⁰⁾ . وذكر ما حدث له في مقام سيدي أبي علي الفجائي بالزاوية البكرية ، وكانت زوجته قد «تراخت عنها الولادة» وما كان لزيارة هذا المقام والإطعام فيه من أثر جاءت على إثره ولادة ابنه محمد⁽²¹⁾ ، ثم ما كان لزيارته مرة ثانية من أثر على بنية له كانت تعجز عن النهوض ، ثم لم تلبث أن قامت على رجلها ماشية.⁽²²⁾

(18) المحاضرات 37

(19) المحاضرات 61 — 62 — 65

(20) المحاضرات 61

(21) المحاضرات 62

(22) نفسه

ويبدو أن اليوسي كان في هذا السلوك ينطلق من حافزين اثنين :
أحدهما يتمثل في إيمانه الصوفي العميق .

والثاني : تأثره بعبادات وتقاليد اجتماعية ، مهما كان موقفه من
انحرافاتهما ، فهو يسايرها ويحاول أن يظل ماسكاً بزمام المبادرة فيها
والتوجيه .

ولعل وسطية اليوسي هي التي جعلته يرفض المبالغات الصادرة عن
بعض العلماء العارفين ، على حد ما حدث له مع أحمد الحلبي شاعر
النبويات المشهور ، فقد « كان ... من المعجبين بنظمه ، وكان يقضي له كل
ضرورياته من ماله : لغربته ونفاسته علمه ، حتى نظم قصيدة تكلم فيها على
لسان الحق ، فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه سداً للذريعة وحماية
لجانب الشريعة ، مخافة أن يقتدي به في ذلك من ليس له حظ هنالك
فلم ينته ... عن فعله لعلمه أنه فيه على بصيرة من ربه ، وأنه يتكلم بلسان
الوجد والحال لا بلسان التمشدق والابتذال ، فهجره اليوسي رحمه الله
واغتاظ عليه وقطع عنه ما كان يوجهه إليه »⁽²³⁾ .

والحقيقة أن اليوسي — بمسألته وعدم تطرفه — كان ميالاً إلى العمل
بمبدأ سد الذرائع وفتحها . وقد ذكر من ذلك على سبيل التمثيل قضية
الإمام مالك حين قيل له : « تترك الجماعة والجمعة وإذا دعاك السلطان
أسرعت إليه » فأجاب : « لو لم أفعل هذا لم تر بهذه البلدة سنة
قائمة »⁽²⁴⁾ .

كما ذكر « ما كان فعل الإمام العلامة القاضي اسماعيل بن حماد ، فقد

(23) الأعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 132 — 133 ط أولى

(24) المحاضرات ص 146

روى أنه دخل عليه عبدون بن صاعد الوزير وكان نصرانياً ، فقام له ورحب به . ورأى ممن حضر من العدول وغيرهم إنكاراً لذلك ، فلما خرج قال لهم : قد رأيت إنكاركم ، وقد قال الله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم . وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين ، وهو سفير بيننا وبين المعتضد ، وهذا من البر» (25)

وأورد من هذا القبيل أيضاً إكرام أبي بكر الدلائي للعكاكزة أولاد عبد الحق بن المنزول ابان هروبهم من بلادهم ، إذ «نزلوا بساحته وهم جياح ، ووجدوا زرع زاويته محصوداً مجموعاً ، فقال لهم : ادرسوا وكلوا . فقام إليه ولده الكبير أبو عبد الله ... فأنكر ذلك ، وقال إن هؤلاء فساق أو كفار ، ثم هم ظلام محاربون ، فكيف تعينهم وتبيح لهم زرع المساكين . فقال أبوه : إني أريد أن أتخذ عندهم يداً ، فإذا استلبوا مسكيناً يوماً ما وجاء إليّ يشتكي كتبت إليهم كتاباً ، فلا بد أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعه ، فأنا إنما فعلت هذا لحق المساكين» (26)

ويعتبر قول اليوسي بهذا المبدأ والعمل به من أهم آرائه الدينية . ومثله في الأهمية إعطاؤه قيمة للعادة : على حد ما تكشف نصوص سبق ذكرها ، وكذلك قوله في عقيدة العوام بأن الإيمان يكفي ، وقد أوردنا نصوصاً تعبر عن رأيه في هذا المضمار ، مؤكدة أن «كل من تشهد شهادة الحق فإنه توكل ذبيحته وتحل مناكحته ويدفن في مقابر المسلمين» (27) . وإذا كان اليوسي يراعي شعور العوام ومستواهم العقدي والعلمي ،

(25) نفس المصدر

(26) المحاضرات ص 145

(27) المحاضرات ص 78

فيبدو متساهلاً بعض الشيء ، فإنه حين يتعامل مع أقرانه من العلماء لا يبدى أي تحفظ أو تخوف . بل يجهر بالرأي وإن خالفهم فيه .

ويكفي أن نشير من ذلك إلى موقفه في قضية العلم النبوي⁽²⁸⁾ وما كان له فيها مع عبد المالك التجموعي ، وكذلك رده على السؤال الذي استفسر به المولى اسماعيل عن وطء الأمة وهل ينشر الحرمة بينها وبين أقاربها كبناتها مثلاً . فقد أجاب بالتحليل كل من القضاة عبد المالك التجموعي وأبي مدين الفاسي ومحمد بن الحسن المجاصي ، وتنزل اليوسي فأفتي — دون مجاملة أو مراعاة — بانتشار الحرمة بين الموطوءة وفصلها وأصولها . وبأنه لا سبيل إلى بنتها .⁽²⁹⁾

ولم يكن في هذه الفتوى يرتجل القول أو يتسرع في إبداء الرأي ، ولكنه سلك فيها — كما في غيرها من الفتاوى — منهجاً يقضي بأن يدرس النازلة ويناقشها ، مقلباً مختلف الظروف ، وناظراً في جميع الآراء والأقوال ، قبل أن يدلي برأيه ، مناقشاً من جديد ومعللاً ومقوماً للممكن من الحجج والبراهين ، فيبدو وكأنه يترك للسائل حرية الاختيار باعتباره بصيراً على نفسه ومتحملاً لمسؤوليته .

* * *

وأما القضايا التي تناول مرتبطة بالعلم والعلماء ، فتبدأ عنده من طور التعلم وما يقتضي من رحلة للطلب . وقد عقد لهذه الرحلة فصلاً في كتاب (القانون) باعتبارها الظاهرة التي تكشف عن قوة قريحة الطالب . والمقياس الذي يبلور مدى أهليته ، «... فإن من احتاج إلى العلم رحل إليه

(28) أنظر رسالته في مسألة العلم النبوي (راجع القسم الثاني الخاص بسيرة اليوسي البيليوغرافية)

(29) أنظر فتواه في ذلك (راجع القسم الثاني)

وطلبه . قال ﷺ : اطلبوا العلم ولو في الصين ، وهو خطاب للمتعلمين ، ولم يخاطب المعلمين أن يتحركوا ليؤخذ عنهم ... وطلب العلم إذا لم تكن معه قريحة وقادة لا ينتج ، وصاحب القريحة لا تتركه قريحته أن ينتظر من يأتيه ... فبالرحلة يعرف من فيه أهلية للعلم فيلزم حقه ...» (30)

وهو في محاولة إبراز دور الهجرة في تكوين المتعلم ، لا يكتفي بطرحها باعتبارها مظهراً لازماً له قيمته ، ولكنه يحللها ويستعرض فوائدها من خلال تجربته الشخصية في الرحلة لاشك ، فيذكر « ... منها التخلص عن شواغل الوطن وفننه الشرية والخيرية ، ومنها التجرد لأخذ العلم الذي هو شرطه ، ومنها الغربة التي هي مظنة عدم الألفة والخلطة ومعاشرة الناس التي هي إحدى العوائق ، ومنها ما يرجو من ثواب خطواته ومشقته وبركة ذلك في العلم والعمل عاجلاً وآجلاً ، ومنها ما يرجو من التيسير واتساع الرزق ... ومنها ما يرجو من اعتناء الشيوخ به أكثر ... ومنها وهو أعظمها امتحان نفسه ليظهر صدقها ... ومنها ما يستفيد بالسفر والاعتراب من الأخلاق الحسنة والرياضات المستحسنة والتجارب السنية ... » (31)

ثم إنه يعتبر أن « نشر العلم من جملة المصالح الإسلامية العامة » (32) . وأنه « أفضل من الاشتغال بعبادة أخرى » (33) . وعنده أن التعلم والتعليم يدخلان في نطاق الجهاد الذي يهدف إلى دفع خطر الجهل عن الأمة ، وهو يتعدى خطر العدو المهدد للكيان والسيادة وما يفرض من جهاد للدفاع عنها ، فإن « طلب العلم والاشتغال بالتعليم نوع من الجهاد ، بل هو الجهاد الثاني ، بل أهم الجهادين ، وذلك أن جهاد العدو مطلوب

(30) رسالة (جواب الكتاب) ص 27 — 28

(31) القانون (الملزمة 21 ص 9)

(32) القانون (الملزمة 17 ص 7)

(33) القانون (الملزمة 17 ص 8)

للدفاع عن بيضة الإسلام ، والعلم مطلوب لدفع الجهل عنهم . ثم إذا نظرنا وجدنا العدو لو تسلط على الأموال والرقاب وهي أمور دنيوية لا بد من فراقها إما بذلك أو بغيره والموعود الآخرة . ولو تسلط الجهل عباداً بالله لم تبق عقيدة صحيحة ولا إيمان ولا عمل صالح وهذا هو الهلاك الأبدي الذي يستمر إلى الآخرة . فتعلم أن الجهاد في دفع الجهل وتحصيل الدنيا أصلاً وفرعاً أهم وأؤكد من الجهاد في دفع العدو» (34)

وربط اليوسي بين العلم والجهاد نابع من اقتناعه بقيمة القوة الفكرية والروحية وأولويتها على الماديات ، ونابع أيضاً من إدراكه لرسالة العالم وما تتطلب من حرية واختيار ، بعيداً عن أي إلزام أو إكراه ، أو حتى النظر في مواقفه وآرائه ومردود أعماله ، وما تتطلب كذلك من إنفاق سخي على العلماء والمتعلمين ، بتخصيص الدولة للأموال اللازمة لقيام الجهاد العلمي ، مثلما ترصدها للمجاهدين الذين يردون العدو عن الوطن ، على اختلاف مراتبهم نتيجة اختلاف ما يبطنون من نوايا وما يقدمون من أعمال .

وهو يرى أن الله تعالى أباح لهؤلاء المجاهدين «... الغنائم فكانوا يتقوون بها على الجهاد... وكانت تدفع لكل من حضر المعركة حكماً شرعياً . والاستقراء قاض بكون الناس في القتال ثلاثة : شخص يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ومطلبه رضاء الله تعالى ورحمته الباقية ، لا تشوف له إلى المال ولا إلى الدنيا أصلاً ، وهو خير الناس ؛ وشخص يقاتل لذلك أيضاً مع التشوف وهو في وسط الناس ؛ وشخص يقاتل لطلب الدنيا إما مع تشوف إلى الآخرة أولاً ، وهو شر الناس ولكن ينفع الله به بالدفع عن غيره وكل من الأصناف يقبض المال في جهاده ... فالمشتغلون بالعلم أيضاً تعلماً وتعليماً محتاجون إلى مؤونة وكفاية يتقوون بها علي ما هم

بصدده . ولا بد أن يكونوا في هذا ثلاثة أصناف كما كانوا هنالك ، وكما لا ننقب عن قلوبهم هناك بل نعطيهم المال جميعاً وحسابهم على الله ، كذلك هنا . وكما أن الانتفاع هنالك يحصل بالجميع من أخلص ومن لم يخلص . فكذلك في الثاني . وكما انه ينبغي أن ينقل هنالك أهل البلاء على حسب مراتبهم في الغنائم ، كذلك هنا ينبغي أن ينقلوا بحسب مرتبة العلم في العلم وأحكام صنعة التدريس ومرتبة المتعلم في الحذق والنشاط والملازمة . وكما أنه لولا الغنائم هنالك تارة والأعطيات أخرى تعطلت مراسم الجهاد وتعطلت الثغور ... لأن المال باعث ... فإذا بطل الباعث وقع الفتور . اللهم إلا أن يخلفه باعث الإكراه وهو لا يجدى كبير جدوى ... كذلك هنا إن لم يكن المال تعطلت مراسم العلم غالباً إلا أن يكون أيضاً إكراه ، ولا تنتهض معه همة المعلم ، ولا يكون لصدوره انشراح ولا لقلبه إقبال . فلا يحصل للمتعلم انتفاع ، بل يكون ضرباً في حديد بارد ...» (35)

وعلى الرغم من قناعة اليوسي وصوفيته . فإن إيمانه بالتفرغ العلمي وبأحقية الجميع في التعليم ، يجعله يلح في المطالبة بالإنفاق على طلاب العلم ، لفقر معظمهم ، وحاجتهم إلى المال للعيش ، فإنه « ... إنما يحظى به أولاد المساكين ، وهم المنتفعون به في كثير . ولذلك يقال : لولا أولاد الفقراء لذهب العلم ؛ وهم محتاجون إلى المؤونة ؛ والعطاء نافع فيهم وفي غيرهم ... » (36)

يضاف إلى ذلك أن الازدهار العلمي في أي مجتمع . مرتبط بمدى ما يتيح المسؤولون عن هذا المجتمع للعلماء من ظروف مادية ، متمثلة في الإنفاق السخي ، لسد حاجتهم وتشجيعهم ؛ وظروف نفسية متمثلة في

(35) نفس الرسالة ص 6 - 7

(36) نفس الرسالة ص 7 - 8

حسن معاملتهم والاعتراف بما لهم من فضل ومكانة ومن دور فعال «.. فمن وفقه الله من الملوك...فأنفق الأموال في نشر العلم وأقام المرتبات وأحسن الجوائز حيي العلم في زمانه ، وأزهرت رياضه ، وتفتحت حياضه ، وظهرت الفنون الغربية والفهوم العجيبة . ثم إن سهّل بابه مع ذلك ووطن مجلسه وعاشر بالمعروف وأظهر الجميل تسارع إلى مجلسه أهل العلم ، فأشرق مجلسه وتنور محله وعظمت ابته ؛ ومن لم يفعل ذلك اندثر العلم في زمانه ، فخلت رسومه وهوت نجومه . فأما الطلبة فلعدم وجود الكفاية ولا وجود المعلم . وأما العلماء فكذلك ؛ فمنهم من يشتغل بأسباب معاشه وبمعاش عياله ويرى أن ذلك أوجب عليه من التعليم الذي هو فرض كفاية . وهو حق ، فمن أين يتفرغ للعلم أو يفهمه ؟...»⁽³⁷⁾

واليوسي في سعيه للإقناع برأيه ، يخرج من نطاق التنظير والتجريد إلى مجال الواقع ، ليرز حالة العلم في المغرب ، ويبرر الركود الذي آلت إليه ، رغم وجود كفايات وقدرات في كل مناطقه وأقاليمه ؛ ولكنها خامدة ومتجمدة ، نتيجة ما تلقى من إهمال . ولو أتيح لها التشجيع « لظهرت العلوم في كل بلد من البلاد المغربية ، فإن في كل موضع بحمد الله من يكفيه من طلبة العلم ، وإنما خمدوا بعدم المحرك . وما مثال العلم في صدور الرجال إلا مثل الجمر يغطى عليه الرماد ، فأدني نفخ يؤججها ؛ أو النار في الحجر . فأدني اقتداح يخرجها »⁽³⁸⁾ .

والعلم عند اليوسي مقرون بالعمل ، في مزج بين الفكر والممارسة . يبدأ عنده من عبادة الله «وهي مجموعة من علم وعمل ، والعلم علمان : علم بالمعبود ، وعلم بما به يعبد . فهذه ثلاثة أقسام . أما القسم الأول وهو العلم

(37) نفس الرسالة

(38) نفس الرسالة ص 11

بالمعبود فهو التوحيد ، وهو معرفة الله تعالى ، فإن الله تعالى هو المعبود ، ولا معبود بالحق سواه تعالى ... وأما القسم الثاني وهو العلم بما يعبد الله تعالى به ، فهو معرفة أحكام الفقه ... وأما القسم الثالث هو العمل ، فهو الامتثال بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، والدوام على ذلك حتى يأتيه اليقين » (39)

بل انه يرى أنه لا علم بدون عمل « ... فإذا كان العالم مسلماً له في علمه ، موثقاً بإمامته ، ثبت للناس حق عليه أن يعلمهم ويرشدهم بحسب الإمكان . وإذا كانت تعاب أفعاله وتعرض أقواله ، فذلك حكم عليه بأنه لا علم عنده ولا وثوق به وحده وتسقط عنه حقوق الناس . فالجمع بين الاعتراف له بالعلم والثقة وثبوت حق الناس عليه والإنكار عليه فيما يقول أو يفعل جمع بين متنافيين » (40)

ويتبلور العمل عند اليوسي في سلوك معين وآداب مضبوطة تشكل عنده حدود التزام يدعو إليه ، وهو ما عبر عنه بالإخلاص . فعنده « أن الناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعالمون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون قليل ، أي فهم قليل من قليل » (41)

وقد فصل القول عن ملامح هذا الإخلاص في كتاب (القانون) (42) ، وحدد أبعادها عند العالم الملتزم صاحب الرسالة في « ... أمور : منها تقوى الله تعالى ودوام خوفه ومراقبته في جميع حركاته وفي سره وعلايته ، وليستشعر ما أودعه الله تعالى من أمانة فيجتهد في

(39) الرسالة الأسفية ق 302 ص 333 إلى 337

(40) جواب الكتاب ص 4

(41) نفس الرسالة ص 34

(42) المزمة 16 ص 2 - 3 - 4

حفظها ويحذر من الخيانة فيها... ويستتبع ذلك الورع والوقار والخشوع والخضوع والسكينة وحسن السمات... ومنها أن يصونه كما صانه أهله ويحفظ عليه ديباجته وشرفه ، فلا يمتنه بذهابه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة...⁽⁴³⁾ ومنها أن يزهّد في الدنيا ويتنزّه عن فضولها لأنه أعلم الناس بنجستها... ومنها أن ينزه علمه عن أن يجعله سلماً للأغراض الدنيوية من مال وجاه ورياسة وتقدم وشهرة ونحو ذلك...⁽⁴⁴⁾ ومنها أن يتنزّه عن دني الأفعال والأحوال طبعاً وشرعاً فلا يشتغل بحرفة رذيلة ولا أمر منكر ولا خارج عن المروءة ولا موهّم لذلك... ومنها أن يأخذ نفسه بالمحافظة على الديانة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهد الاستطاعة مع الصبر على ما يتحمل من النصب والأذى في ذلك . ومنها أن يأخذ نفسه بالكمال في أقواله وأفعاله من جميع العبادات... ومنها أن يجاهد في رياضة نفسه وتطهيرها من جميع الصفات المذمومات كالكبر والعجب والرياء والحسد والحقد وحب الدنيا... ومنها الدوام على تعاطيه والحرص على الازدياد منه . ومنها أن لا يستنكف عن أخذ العلم عن كل من لقي ولو دونه... ومنها أن يبث علمه للناس ويودعه صدور الرجال ، فبذلك تنبت شجرة العلم وتتصل مادته ، وذلك بالتدريس⁽⁴⁵⁾ والتلقين والإفتاء والتصنيف .»

(43) عقد فصلاً خاصاً عن (ذم العالم على مخالطة الأمراء الظلمة) في القانون ، المزمّة 18

ص 5

(44) عقد فصلاً عن (مدح العالم العامل وذم الفاجر وطالب الدنيا بعلمه) في نفس المصدر

ص 6

(45) تحدث في الفصل التالي عن آداب التدريس فذكر أنها الطهارة والاستخارة والبروز للناس وتكريم المعلمين والاستهلال ببعض آيات القرآن الكريم ورفع الصوت وصون المجلس عن اللغو والهوس . وملازمة الإنصاف والأهلية للتدريس.

وإذا كان اليوسي يلزم العلماء بهذا النوع من الانضباط . فلأنه يريدهم أن يكونوا في موقفهم الطبيعي الذي يخولهم مكانة يقتربون بها من الأنبياء ، ويتفوقون على ذوي الأمر الحكام . فقد « كان في بني اسرائيل يكون الأمير على يد نبي ، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير . ولما كانت هذه الأمة المرحومة انقطعت النبوة بنبيها خاتم النبيين ﷺ فلم يبق إلا العلماء يقتدى بهم . قال ﷺ : علماء أمتي كأنبيا بني اسرائيل . فكان حقا على خلفاء هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذا وعطاء » (46)

ومن ثم ، فإنه إذا « كان علماء هذه الأمة كأنبيا بني اسرائيل ، لزم أن يكون ملوكها كملوكهم ينفذون ما يأمر به العلماء . ولهذا قال الإمام أبو الأسود الدؤلي : ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك... فالعالم له أن ينكر على غيره بالحق والتحقيق ، وليس لغيره أن ينكر عليه ، اللهم إلا إذا كان عالماً مثله أو فوقه ... » (47)

من هذا المنطلق ، يطرح اليوسي قضية ذات أهمية بالغة ، يوضح فيها علاقة العالم بالسلطة في نوعيتها ودرجتها ، فيرى أن هذه العلاقة تسير في اتجاهات ثلاثة : « الأول أن ينشر الملك الحب ويظهر الجميل والخير فتأتيه العلماء يرغبون فيمن تظاهر بالإحسان وتصدى للإعانة على الخير ، لأنهم يستعينون به على ما هم بصدد... الثاني أن يبعث إلى العلماء بوجه الخير والمحبة لا الإكراه . والعلماء في هذا تختلف أحوالهم ، فمنهم من يسعف ويأتي ومنهم من يمتنع ؛ ثم الممتنعون منهم من لا يعتذر ولا يبالى ... ومنهم

(46) رسالة (براءة اليوسي): انظر الجيش ص 82

(47) رسالة (جواب الكتاب) ص 4

من يعتذر... الثالث أن يلزمهم ذلك إكراهاً وضغطاً ، وهذا لا يقتدى به لأنه ظالم محارب لله ولرسوله . وفي الخبر يقول الله تعالى : من آذى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة . وقال الإمام الشافعي : إن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله فليس لله ولي...» (48)

ويبدو أنه كان يشعر بصعوبة ارتباط العالم الحق بالسلطة الحاكمة ، وعدم جدوى هذا الارتباط حتى حين تتاح بينهما علاقة طيبة ، وهي صعوبة ناتجة عن الظروف والملابسات التي أصبحت تحيط بهذه السلطة . حائلة دون قيام العالم برسائلته ونهوضه بمسؤوليته ، بعد أن غيرت طبيعة الحكم عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا أحرص الناس على سماع النصيح والنقد ، لاستقامتهم واعتبارهم الحكم لله والقيام به عبادة.

لهذا ، فهو يرى أن « التعرض لما يستحقه صاحب الأمر من بيوت المال وما يكون له أن يأخذه من الناس وما يكون به استحقاق المرتبة من الأوصاف والشروط ، والفرق بين الخلافة المعتبرة شرعاً والتغلب ونحو ذلك... أمر متعذر لا يستطيع ذكره ولا الحوم بساحته . وقد ذهب الحديث عنه منذ الخلفاء الراشدين ، فإنهم رضي الله عنهم كانوا قد قاموا في هذا الأمر لله تعالى واتخذوه عبادة ، ولو وجدوا من يحمله عنهم لم يكرهوا ، وكانوا مستقيمين على الصراط المستقيم لا تتقي بوادهم ولا تحشى غائلتهم ولا يأنفون من الحق أن يسمعه ، بل يطلبونه ويحبون من ينصحونهم بكل جليلة ودقيقة ، ولا يتوقعون منهم إلا المجازاة بالخير آمنين مطمئنين . فلما انقلبت الدولة ملكاً من عهد الأمويين... وحدثت الشهوة المتبعة والغضب لغير الله والصولة على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم بغير

حق ، انحنس العلماء وهربوا بأنفسهم طلباً للنجاة ، وعلموا أن النصح لا ينفع ، وعملوا بقوله ﷺ : إذا رأيت شحاً مُطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ، وتفرغوا للاستعداد لمعادهم وتركوا الخلق في بلواهم ... » (49)

وهذا موقف سلمي لاشك ، وإن صدر في ظروف عجز قاهرة . ولكن اليوسي يرى فيه خيراً مع ذلك ، إذا كان مقروناً بنية القيام بالعمل الإيجابي الصادق ، لو توافرت الأسباب لهذا العمل . ولعل الخير فيه لا يأتي من مجرد النية الصالحة وما ينتج عنها من راحة في النفس والضمير ، ولكن يأتي كذلك من أن اعتقاد الخير فيها يحمي العالم الذي فقد الأمل في أداء رسالته لكثرة الخبث والفساد ، من الوقوع في برائتها والتلوث بها . وهذا ما جعل اليوسي يخاطب مثل ذلك العالم بأن «أنو... ان لو كانت لك قوة على إظهار الشريعة وإحياء السنة وإخماد البدعة وحسم الباطل وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وإقامة ميزان العدل وإصلاح العباد والبلاد ، فعسى أن تنال بهذه النية خيراً ، وقف هاهنا وطب نفساً عما وراءه فلا تلج تلك المضايق ولا تتبع تلك الطرائق » . (50)

* * *

ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذا النصح القائم على حث العلماء — مهما كانت ظروف الفشل واليأس — على التمسك بجد أدني من كرامة النفس والعلم ، فإن اليوسي ظل حامل لواء دعوة الإصلاح والتصحيح في عصره ، يجاهر بالقول ويصارع بالرأي ، في غير تخوف أو تحفظ ، وفي غير تهور أو ارتجال كذلك .

(49) رسالة ندب الملوك للعدل 364 د ص 227

(50) المحاضرات ص 98

ووقوف اليوسي في مثل هذا الموقع راجع لاشك إلى عوامل نرجح أن تكون مرتبطة بالظروف الخاصة والعامة التي واجهها وواجهته . ونستطيع تلخيصها فيما يلي :

أولاً : أوضاع عامة مضطربة نتيجة أسباب كثيرة : من أهمها انتقال السلطة من دولة إلى أخرى ، وظهور تطلعات للزعامة في عدة مناطق ، وخاصة لدى أرباب الزوايا.

ثانياً : قضاء المولى الرشيد على زاوية الدلاء التي كان لها ظهور قوي في الساحة السياسية والفكرية .

ثالثاً : طبيعة تكوين شخصية اليوسي وتفكيره : على حد ما بينا من قبل .

على أن استفساراً كبيراً يطرح حول معاملة الرشيد لليوسي بعد تخريب الزاوية ، إذ أخذه معه إلى فاس ، ولم يعرضه للنفي أو السجن أو التشريد ، كما فعل مع بقية أعضاء الزاوية . ولكن الإجابة تبقى مجرد ترجيح لجملة افتراضات نتصورها كآلاتي :

أولاً : السمعة التي كان يتمتع بها اليوسي في مختلف الأوساط

ثانياً : إعجاب المولى الرشيد به وتقديره له . وقد ذكر اليوسي أنه كان يكرمه ويحمله⁽⁵¹⁾

ثالثاً : تعارف سابق بينهما في الزاوية ، أو أيام الطلب في سجلماسة ؛ ولا يستبعد أن يكون أخذ على اليوسي⁽⁵²⁾ في الزاوية ، لاسيما وأنه ظل يتردد على دروسه في القرويين ويحالفه في قصره.

(51) انظر (المحاضرات) ص 67

(52) انظر (الإتحاف) ج 3 ص 32

رابعاً : رغبة السلطان في الاحتفاظ ببعض عناصر الزاوية اللامعين لاستخدامهم والمناورة بهم .

خامساً : استسلام اليوسي للمولى الرشيد بعد انتصاره .

وإذا كنت استبعد من اليوسي هذا الموقف الأخير ، على ما فيه من جانب إنساني ، وإن اتسم بالضعف وعدم المقاومة ، فإني أميل إلى اعتبار الاحتمالات الأخرى . دون أن ننسي أن الظرف أو قريباً منه تكرر في عهد المولى اسماعيل ، حين حوصرت مدينة فاس ومس كثير من العلماء ، بينما نجا اليوسي واستأذن في الخروج من المدينة .⁽⁵³⁾

مهما يكن ، فإن ثورية اليوسي كانت تنطلق من مبدئين أساسيين آمن بهما وألح عليهما في مخاطبة السلطان المولى اسماعيل وتوجيهه وتنبيهه وتحذيره .

أما الأول فرأيه في الحكم ، وينسجم مع نظرية الإسلام فيه ، وهو قائم على أن الملك في الكون كله لله تعالى ، وأن السلطان القائم بالأمر ليس إلا واحداً من عبيده ، ابتلاه بالمسؤولية ليلقي جزاءه منه بقدر ما يحسن أو يسيئ في تحملها « ... فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له ، والناس عبيد له سبحانه وإماء له . وسيدنا واحد من العبيد ، وقد ملكه الله عبيده ابتلاءً وامتحاناً ؛ فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والأحلام ، فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عبيده وله الدرجات العالية عند الله تعالى . وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة وسخطه . ولا

(53) انظر رسالة (جواب الكتاب)

يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه كيف يفعل يوم يتمكن منه». (54)

وأما الثاني ، فتأكيده على أن العدل أساس الملك ، وحجر الزاوية في بنائه ، وعنصر استقراره ، وإن مع الكفر ؛ وأن نقطة البدء فيه أن يعدل السلطان في نفسه ، فلا يأخذ من مال المسلمين إلا ما يستحق ، وبعد مشورة العلماء «... وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور لا يثبت مع الملك ولا يستقيم ، وأن العدل يستقيم مع الملك ولو مع الكفر ؛ وقد عاش الملوك من الكفرة المئين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص ، لما كانوا عليه من العدل في الرعية ، استصلاحاً لدنياهم . فكيف بمن يرجو إصلاح الدنيا والدين... يشبه الملك بناء والجند أساسه ، وإذا ضعف الأساس سقط البناء ؛ فلا سلطان إلا بجند ، ولا جند إلا بمال ، ولا مال إلا بجباية ، ولا جباية إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل . فالعدل أساس الجميع... وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه ، فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق ، ويسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وما يأتي وما يذر» (55)

والحاحه على العدل جعله يتوسل بأمثلة كثيرة من التاريخ يطرحها للوعظ والتنبية ، فيحكى « عن فرعون لعنه الله أنه دخل عليه بعض أشياعه بمال عظيم فوضعه بين يديه فقال له : من أين هذا ؟ فأخبره أن بعض القرى من أعمالهم كان لهم ماء فتبطل ، وأنه قد أذن لهم في أحيائه واجرائه على هذا المال . فقال له فرعون : الماء ماؤهم وقد أجروه ، فقيم يدفعون المال ؟ هذا ظلم وجور . والملك لا يستقر على الجور ، فاردد إلى

(54) رسالة (براءة اليوسي) : انظر الجيش العرم ص 79

(55) المصدر السابق ص 81 -- 82

الناس أمواهم . قال بعض أئمتنا : فانظروا يامعشر المسلمين : هذا كافر لا يلتفت إلى الدار الآخرة ثم حافظ بالعدل على دينه فقط ، فكيف بمن يدعي الدين ثم لا يلتفت إلى العدل ولا يحافظ على دين ولا دنيا . قلت وقد قال الحكماء : إن الملك يستقر ويستقيم مع الكفر ولا يستقيم مع الجور» .⁽⁵⁶⁾

كما أن سعي اليوسي إلى إقناع السلطان بأن يبدأ في العدل بنفسه فيما يتعلق بالمال ، فلا يأخذ منه إلا ما يسمح له به العلماء ، جعله يثير قضية أبي بكر حين استخلف « وكان قبل ذلك يبيع ويشترى في السوق لعياله ، فلما بويع أخذ ماله الذي للتجارة وذهب إلى السوق على عادته ، حتى رده علماء الصحابة وقالوا : إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق . وفرضوا له ما يكفيه مع عياله ، وجعلوا المال على يد أمين ، فكان هو وغيره فيه سواء ، يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره ، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده »⁽⁵⁷⁾

لذلك ، فهو يطلب من السلطان أن يتخذ القدوة من هؤلاء الخلفاء . وليس من ذوى الأهواء والشهوات والنزوات ، كما يطلب منه في سؤاله ومشورته ألا يتوجه إلا للعلماء العاملين الثقات الذين يتصرفون بصدق وتقوى وشجاعة ، ويزيد فيذكر له منهم بعض الأسماء : « فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى بأهل الأهواء ، ويسأل من معه من الفقهاء الثقات ، كسيدي محمد بن الحسن وسيدي أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون ولا يخافون في الله لومة لائم ، فما أمره به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله ، وما نهوه عنه انتهى »⁽⁵⁸⁾

(56) المحاضرات ص 88

(57) رسالة براءة اليوسي (الجيش ص 82)

(58) نفس المصدر

على أن مخاطبة اليوسي للمولى اسماعيل لم تكن قائمة فقط على كلام نظيري مجرد ، يستعين في تأكيده بنماذج من التاريخ ؛ ولكنه كان ينطلق كذلك من الواقع العفن المنهار ، ومن الممارسات التعسفية الخاطئة التي يعاني منها الوطن والمواطنون ، يكشفها للسلطان وينبهه إلى عواقبها وإلى وجوب تصحيحها .

وفي رسالة اليوسي البرائية طرح جيد وصريح لفساد الأمور ، ورأيه في أسباب هذا الفساد ، وما يتحمل فيه السلطان من مسؤولية ، وما لبعض أفراد حاشيته من دور في ذلك يتمثل في إخفاء الحقائق عنه وتزيين الوقت له .

ويبدأ هذا الطرح بإبراز ثلاثة حقوق رئيسية عليه ، وهي :

« الأول : جمع المال من حق وتفريقه في حق ؛ الثاني : إقامة الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج إليه من عدد وعدة ؛ الثالث : الانتصاف من الظالم للمظلوم ، وفي معناه كف يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم . وهذه الثلاثة كلها قد اختلت في دولة سيدنا ، فوجب علينا تنبيهه ليلا يعتذر بعدم الاطلاع أو الغفلة »⁽⁵⁹⁾

ثم يأخذ اليوسي في تفصيل القول ، محلاً كل جانب من هذه الجوانب الثلاثة ، فيبدأ بجمع المال من كافة المواطنين بعدل ورفق وأنصاف ، وانفاقه في المصالح العامة ، والتوزيع منه على العلماء والمجاهدين ، أو من عبر عنهم بالخاصة . وفي ذلك يقول :

« أما الأمر الأول ... فلينظر سيدنا ، فإن جباة مملكته قد جروا ذيل الظلم على الرعية ، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا

(59) المصدر السابق ص 79

المخ ، ولم يتركوا للناس ديناً ولا دنياً . أما الدنيا فقد أخذوها ، وأما الدين فقد فتنوهم عنه ، وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه . ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم ، فعلى السلطان أن يتفقد الجبابة ويكف أيديهم عن الظلم . ولا يغتر بكل من يزين له الوقت ، فإن كثيراً من الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله تعالى ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب ، وفي أفضل منهم قال جد أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : المغرور من غررتموه ؛ وأن يتفقد المصالح ويسقط يد الفضل على خواص الناس من أهل الفضل والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم . كما قيل :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، ولا يهملهم فيتمنوا غيره ويتطلبوا دولة أخرى ، كما قيل :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وماذاك من بغض لها غير أنه يريد سواها فهو يهوى زوالها

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال الرعية العامة ونشرها في الخاصة وشيد بها المصالح ، فالعامة يدعون ويعلمون أنه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من انفاق أموالهم في مصالحهم ، وإلا فالعكس . وأيضاً السلطان متعرض للسهم الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية . فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلامة والبقاء فيقابل دعاء بدعاء» (60)

وينتقل بعد ذلك إلى حماية الثغور وما آلت إليه بسبب تجريد المجاهدين

من السلاح وإرهاقهم بالضرائب والتكاليف ، وبسبب سوء اختيار الولاة على تلك الثغور ، فيقول :

« وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا ، وذلك أنه لم يتأت في الوقت إلا عمارة الثغور ، وسيدنا قد غفل عنها ، فقد ضعفت اليوم غاية . وقد حضرت بمدينة تطوان أيام مولانا الرشيد رحمه الله تعالى إذا سمعوا الصرخ تتهز الأرض خيلا ورماة ، وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صرخا من جانب البحر ذات يوم ، فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقاليع . وهذا وهن في الدين وعزر على المسلمين . وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركات وإعطاء العدة كسائر الناس ؛ فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القليعة إلى ماسة ، ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم ، ويترك لهم خيلهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه ؛ فهم حماة بيضة الإسلام ؛ ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيره على الإسلام وأهله ، ولا يولى منها من همته ملء بطنه والالتكاء على أريكته » (61)

ويصل في الختام إلى النقطة الثالثة المتعلقة بظلم العمال وأعوانهم للمواطنين ، فيقول :

« وأما الأمر الثالث ، فقد اختل أيضاً ، لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس ، وهم العمال في البلدان وخدامهم هم المشتغلون بظلم الناس ، فكيف يزيل الظلم من يفعله ؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي » (62)

(61) نفسه ص 80 — 81

(62) نفسه

واليوسي في شرحه أسباب فساد الأمور للسلطان يحثه على سماع النصح والعمل به ، مبرئاً ذمته بعد أن قام بالتبليغ : « فإن تنبه وفعل فاز ، وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة ، وإلا فقد أدينا الذي علينا » .⁽⁶³⁾ بل إنه يمزج النصح بالتحذير والتخويف ، على حد قوله : « فليتنق الله سيدنا ، وليتنق دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب ، وليجتهد في العدل ، فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا »⁽⁶⁴⁾

ومع هذا ، فقد كان اليوسي حكيماً في مخاطبة السلطان وتنبيهه ، إذ كان باستمرار يشيد بقباليته لسماع النصح والانصياع للحق : فقد « ... حمدنا الله تعالى إذ كنا في دولة سلطان هاشمي علوي فاطمي يستمع الحق ويطلبه ولا يأنف عنه ، ولا يستفزه كبرياء ولا أشر ولا بطر »⁽⁶⁵⁾ . « وكنا كثيراً ما نرى من سيدنا التشوف إلى الموعظة والنصح والرغبة في استفتاح أبواب الريح والنجح »⁽⁶⁶⁾

والحقيقة أنه على الرغم من أن اليوسي كان في رسائله للسلطان يضطر إلى شيء من العنف في التعبير والصراحة في الرأي ، فإنه كان يجعله فوق كل الاعتبارات ، ونعتقد أنه ما كان لموقف — كموقف اليوسي — يتسم بالثورية الإيجابية ، أن يتعدى نطاق النقد والتوجيه والتنبيه في مواجهة حاكم ذي سطوة وقوة كالملوك اسماعيل ، إلا أن يتحول الموقف إلى تهريج أو عشوائية أو انتحار.

(63) نفس المصدر ص 79

(64) نفس المصدر ص 81

(65) رسالة نذب الملوك إلى العدل ص 228

(66) رسالة براءة اليوسي (انظر الجيش ص 78 — 79)

خاتمة

اتضح لنا لاشك من خلال المباحث السابقة ، أن اليوسي كان يسير في خط رياضي تجديدي ، سواء في تفكيره أو سلوكه أو إنتاجه ؛ وأنه كان بذلك صاحب عبقرية لا تنازع ؛ وأن هذه العبقرية لم تنبثق عنده من مجرد التأمل والخيال ، أي من قوة نظرية تجريدية لم تبلور في الملموس والمحسوس ، ولكنها مزجت بين الفكر والممارسة ، انطلاقاً من الواقع والاحتكاك به في عمل مستمر لتحريكه والتطلع إلى تصحيحه والنظر من خلاله إلى المستقبل وإلى المصير المتوقع والمترقب .

وقد عبر اليوسي عن هذه العبقرية ، ليس بلسان إنّي مغرق في الفردية ، كما قد يبدو في الظاهر ، ولكنه عبر بانية جمعية ، إن لم أقل إن انصهاره الجماهيري — فكراً وسلوكاً — جعل ذاتيته الشخصية — على وعيه بها وعلى مافيه من خصوصيات مميزة — تذوب في ذاتية الجماعة أو تذيبها فيها على الأصح .

ومن ثم ، فإنه كان يتخذ مواقف وآراء إزاء قضايا ومشاكل وأزمات ، بعضها ثابت وبعضها الآخر طارئ . وقد كانت تلك المواقف والآراء تتسم حيناً بالمرونة والمطاوعة ، وتتسم أحياناً أخرى بالوقوف والصلابة ؛ ولكنها في جميع الأحوال ناتجة عند اليوسي عن إدراك نفسي وحديسي ، فضلاً عن الاقتناع الفكري الموضوعي .

وإذا كانت قوة هذه المواقف والآراء تحدد بشكل تلقائي وواضح مدى عبقرية اليوسي في ملاحظها الفردية ، فإنها في نفس الآن ، تكشف —

نتيجة عوامل كثيرة ذكرناها — سر ثباته عندها وسر تعبيره عنها بشجاعة وجراءة ، وفي إلحاح على الهدف وسعي إليه ، بعيداً عن أي ميل للمساومة أو التنازل ، وتغلباً على جميع الصعوبات والعقبات ، وتجاوزاً لكل الاحتمالات والتوقعات ، مهما كانت عواقبها ونتائجها عليه ، وقد عاني من ذلك وتحمل الكثير .

وإن تلك المواقف والآراء لتعبر عن تجربة اليوسي وخبرته بالحياة والمجتمع ، وفهمه لها وتجاوبه معها واندماجه فيها بانسجام يجعلنا نستطيع النظر إليه من خلالها وإليهما من خلاله ؛ أقصد من حيث الجانب المتحرك في الحياة والمجتمع ، المتطلع إلى التطوير وإلى التغيير ، وليس إليهما في حال الثبوت والركود وحال المطاوعة لمسيرة المصير المفروض .

وهذه الحقيقة هي التي جعلته يتأثر بعصره ويؤثر فيه كذلك ، من حيث أنه يكشف عن بعض الخبآت فيه ، ويؤشر على جملة من تناقضاته ، ويژهض بصيغ جديدة لإعادة تشكيل بعض البنيات المهترئة فيه . وهو لا يفكر في هذا التكوين الجديد نسجاً على منوال أو نموذج خياليين ، ولكن تحفزاً من الواقع ومعاناته فيه .

وقد كان اليوسي ينطلق في كل ذلك من مكوناته الفطرية والاجتماعية ، وخواطره النفسية والثقافية ، كما ينطلق من إدراكه لمسؤولية المثقف وفعاليته في المجتمع ، بكل ما يغذى هذا الإدراك من عوامل يفرزها العالم الخارجي ويلقي بها إليه ؛ وعليه هو أن يطرحها ليتخذ منها مواقف أو يخرج فيها برأي ، دون أن يحيد عن ولائه للحق . إن لم يكن للحق المطلق ، فللحق العام كما يراه ويؤمن به ، ومع مراعاة ما هو ثابت وساكن في طبيعة الكون والبشر ، وما هو متبدل ومتحول في نوع رؤية الإنسان وشكل تفكيره وأسلوب عمله ، حسباً تقتضيه معطيات كل زمان ومكان .

القسم الثاني

بيوبليوغرافيا اليوسي
أو
سيرته البليوغرافية

وضعت في هذه السيرة الجيولوجية قوائم بإنتاج اليومي في جميع ألوانه وفنونه . وبالمؤلفات التي ترجمت له أو تعرضت له . وقد حاولت أن تكون هذه القوائم مستكملة ومسترفاة بقدر المستطاع . وهي — على ما فيها من نقص — تصيف الكثير من الحديد إلى كل ما سبقها في هذا المصمار .

أولا : إنتاج اليوسي

قسمت هذه الإنتاج إلى نوعين ، ورتبته في كل نوع حسب الموضوعات⁽¹⁾

أولا : كتب اليوسي وتقاييده وأشعاره ومنظوماته

1 — أدب (بمفهومه الواسع)

1 — الديوان (جمعه ولده بعد وفاة والده)

طبع على الحجر بفاس ، وتوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة في خزانة الرباط العامة :

الأولى ضمن مجموع عدد 32 ج

الثانية رقمها ج 157

الثالثة تحمل رقم ك 491.

كما توجد منه ثلاث نسخ أخرى في المكتبة الملكية بالرباط تحمل الأرقام الآتية : 312 — 2339 — 6549.

كذلك توجد مخطوطات للديوان بباريز والجزائر ، وفي مكتبي الخاصة كرايس منه عليها طرر .

وذكر الأستاذ عبد الله جنون (النبوغ ج 1 ص 286) أنه وضع منتخباً من هذا الديوان ، ولكنه لم يطبع على حد ما كتب في

(1) تنظر في عرض هذا الإنتاج بتفاوت مصادر ترجمة اليوسي المذكورة في القسم الثاني من هذه السيرة البيبلوغرافية ، وخاصة منها كتاب الأستاذ جالك بيرك عن اليوسي ، وبمبحث د. محمد حجي عن الزاوية الدلائية ، والرسالة التي أنجزت الأستاذة فاطمة خليل تحت إشرافي عن رسائل اليوسي

(خل وبقل ص 273) وقد قام الباحث التونسي عبد الحفي محمد المنيف بتحقيق الديوان ، ونال بهذا التحقيق دبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) من كلية آداب جامعة الجزائر ، كما أحرز به جائزة المغرب سنة 1969 ، ولكني لا أدري إذا كان طبع.

2 — القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر ، ومطلعها :
عرج بمنعرج الهضاب الورد
بين اللصاب وبين ذات الأرمد

عارض بها دالية البوصيري في مدح الشاذلي والمرسي.
وردت في ديوان اليوسي المطبوع ، وفي كثير من مصادر ترجمته وغيرها . وطبعت مع شرحها ، وهو لليوسي أيضا ، في مصر سنة 1291 (الاسكندرية) و 1329 (القاهرة). وتوجد منها نسخ مخطوطة كثيرة في الرباط وفاس والقاهرة وباريز ، نكتفي منها بنسخة خزانة الرباط العامة رقم 79 د ونسخة المكتبة الملكية (الزيدانية) رقم 3633 (ضمن مجموع غير مرقم)

3 — نيل الأمان في شرح التهاني (شرح القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر).

طبع بمطبعة الكوكب الشرقي في الاسكندرية سنة 1291 وبمطبعة التقدم في القاهرة سنة 1329.

وتوجد منه نسخ مخطوطة بالرباط والجزائر والقاهرة وباريز ، نذكر منها ثلاث نسخ في خزانة الرباط العامة مسجلة في حرف د ، وأرقامها 712 — 1292 — 1604.

4 — القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية ، وأولها :

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا
فيأبي ويعتاض العقيق بها حمرا

وهي تشتمل على اثنين وستين ومائة بيت
وردت في ديوان اليوسي المطبوع ، وفي بعض مصادر ترجمة
اليوسي وغيرها . وتوجد منها نسخ مخطوطة . نكتفي بالإشارة منها
إلى نسخة خزانة الرباط العامة الواردة ضمن مجموع 163 د (من
98 إلى 103)

كتب عليها محمد بن أحمد الشاذلي شرحاً أتمه محمد البكري
(وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة في نسختين : الأولى ك
248 ، والثانية 2295 د ضمن مجموع ، ابتداء من ص ،
262) . كذلك كتب عليها أبو عبد الله محمد بن المهدي بن
سودة شرحاً في ستة أسفار ذكر صاحب دليل المؤرخ (ج 2 ص
426 ط دار الكتاب) أنها توجد عند أحفاده .

5 — شعر في مدح خير البرية ، أوله القصيدة المشهورة :

جد في سيرها فلست تلام
هذه طيبة وهذا المقام

يوجد مخطوطاً في خزانة الرباط العامة ضمن مجموع 774 د وتوجد
القصيدة في « ديوان قصائد وموشحات في المديح النبوي »
(مخطوطة خاصة للكاتب ص 85)

6 — قصيدة طويلة أولها :

هذا مقام السر والعرفان
قدما مقام الأمن والإيمان

وردت في ديوان اليوسي المطبوع وفي « هداية الملك العلام »
للهمشوكي (مخطوط خزانة الرباط العامة ق 190 من 307 إلى
310)

7 — أشعار مختلفة

وردت في ديوان اليوسي ومصادر ترجمته وكذلك في الكتب
الآتية :

- أ) مجموع بالمكتبة الملكية 2850 (غير مرقم)
ب) مجموع آخر بنفس المكتبة (الزيدانية) 3628 (غير مرقم)
ج) مجموع بمكتبة تطوان العامة 621
د) مجموع آخر بنفس المكتبة 518
هـ) كناش بمكتبة تطوان كذلك 327 الورقة 62 — 149
و) ديوان قصائد وموشحات في المديح النبوي ص 85 — 87
(مخطوطة الكاتب الخاصة)
ز) كناشة عبد السلام الصقلي ص 34 — 71 — 128 —
206 — 217 (المكتبة الخاصة للكاتب)
ح) النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله جنون (ط دار الكتاب) ج
2 (مختارات نثرية) ص 307 و ج 3 (مختارات شعرية) ص
37 — 80 — 133 — 159 — 230 — 256 — 277)

8 — الرحلة (سجلها ولده حين سحب والده إلى الحج)
مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم 2343 وبخزانة الرباط العامة رقم ك
1418 (معها الفهرسة)

9 — زهر الأكم في الأمثال والحكم
يوجد مخطوطاً في المكتبات الآتية :
أ) زانة الرباط العامة 71د — 191د — 1001د —

1159د — ج 596 — ج 844 — ق 388 — ك 1679

(ب) مكتبة القرويين بدون رقم

(ج) المكتبة الوطنية بالجزائر 184280.

(د) المكتبة الوطنية بباريز 52304

(هـ) دار الكتب المصرية 14097 — 14842 (أدب)

وسينشر قريباً بعناية الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر.

10 — المحاضرات

طبع على الحجر بفاس سنة 1327 ، وتوجد منه نسخة مخطوطة فريدة بخزانة العطارين بتونس انتسخت بعد وفاة المؤلف بأربع سنوات ، وتوجد نسخ أخرى مخطوطة في الرباط والقاهرة وباريز ، منها نسخة خزانة الرباط العامة ك 2329 . وقد أعيد طبع المحاضرات ضمن منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب 1) بعناية الدكتور محمد حجي (الرباط 1396 — 1976)

توجد نقول من المحاضرات كثيرة في مصادر ترجمة اليوسي وغيرها من المجاميع والكناشات نذكر منها مجموع مكتبة تطوان العامة رقم 850م

وتجدر الإشارة إلى أن جريدة (العلم) نشرت خلال شهر رمضان 1399 (يوليوز — غشت 1979) فصلاً مختارة من كتاب «المحاضرات» بعنوان : «جولة مع الحسن اليوسي في كتابه المحاضرات»

11 — الفهرست (لم يكملها المؤلف)

توجد منها نسختان مخطوطتان في المكتبة الملكية بالرباط 1138 و 5470 ، كما توجد نسخ متعددة في خزانة الرباط العامة

أرقامها : ك 1418 (مع الرحلة) — ك 1234 ضمن مجموع
(من 103 إلى 147) — ك 1301 ضمن مجموع (من ص
134 إلى 164) — 1838 د ضمن مجموع (من ص 77 إلى
170)

12 — شرح تلخيص المفتاح للقزويني (لم يكمله)
ذكره الكردودي في الدر المنضد 1584 د الورقة 218و

13 — القانون

طبع على الحجر بفاس سنة 1310 و 1315
توجد منه نسخ مخطوطة في المكتبات الآتية :
(ا) المكتبة الملكية بالرباط رقم 6643
(ب) خزانة الرباط العامة أرقام ق 931 — ج 1304 —
2382د — 2359د

(ج) خزانة تمكروت رقم 1923

(د) ظاهرة دمشق 7934

(هـ) المكتبة الوطنية بباريز رقم 5291

14 — الكناشة العلمية (تشمل على فوائد في التفسير والحديث
والتصوف والتراجم) مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم 5995

2 — تصوف

15 — تأليف في الهيلة

ذكره القادري في نشر الثاني ، ومحمد الفاطمي الصقلي في
تقديم كتاب « القانون » لليوسي ص 1 وقال عنه انه تأليف
كبير . وذهب د . محمد حجي في « الزاوية الدلائية » ص 102
(هـ) إلى أن كتاب الهيلة هذا هو « مشرب العام والخاص »

16 -- تذكرة الغافل
ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (م 1 ص 275) وهداية
العارفين (م 1 ص 296).

17. — الدر المصون
ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (م 1 ص 448) وهداية
العارفين (م 1 ص 296).

18 — شرح قصيدة « عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر
الجيلاني » لأحمد بن المختار بنخدة الراشدي ، وأولها :

أقول لمن أعياى الطبيب علاجه
وقد مل من شرب الدواء لعله
ألا لذ بمحيي الدين ياطالب المنى
وعول عليه في الأمور المهمة
ذكره عباس بن ابراهيم في الأعلام (ج 3 ص 161 ط ملكية)
نقلاً عن « تحفة الزائر ».

3 — قراءة وتفسير

19 — أرجوزة في قراءة القرآن
ذكرها محمد بن علي الحسيني المغالي في دوحة البستان (مخطوطة
خزانة الرباط العامة 390 د ص 113)

20 — فتح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة
والكتاب أو الفتوحات السوسية المشتملة على الأنوار القدسية
يوجد مخطوطاً في خزانة الرباط العامة ج 618 (ضمن مجموع من
ص 1 إلى 129)

21 — نعيم الجنان في معنى قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان
ذكره صاحب الفتح الوهبي (مخطوط خزانة الرباط العامة ك
2312 ص 507)

4 — توحيد

22 — تأليف في الهيئة
ذكره الكردودي في الدر المنضد (مخطوطة خزانة الرباط العامة
1584 د الورقة 218 و) كما ذكره برك الذي جعله في التنجيم ،
وراجعه د . محمد حجي الذي ذهب في الزاوية الدلائية (ص
102هـ) إلى أنه هو كتاب الهيلة وإنما اختلطت الكلمة على
برك فقرأها هيئة.

23 — حاشية على شرح كبرى السنوسي
مخطوطة في :

(أ) خزانة الرباط العامة ك 2645 — 1771د
(ب) خزانة القرويين بفاس 40 — 40/837 — 732
(ج) المكتبة الحمزاوية 69
(د) دار الكتب المصرية 222 — 266 — 473 — 562 —
1117 (كلام)

24 — شرح صغرى السنوسي
ذكره صاحب المنح البادية (انظر المصادر) ومحمد الفاطمي
الصقلي في تقديم كتاب القانون ص 1

25 — كتاب أخذ اللجنة عن أشكال نعيم أهل اللجنة
يوجد مخطوطا بالمكتبة الملكية 6602 وخزانة الرباط العامة
3373د ضمن مجموع من ص 414 إلى 428.

26) مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص أو منيح الخلاص من كلمة الإخلاص طبع على الحجر بفاس سنة 1327 وتوجد منه نسخة في تمكروت (آخر مجموع رقم 1928) وثلاث نسخ في خزانة الرباط العامة : ك 35 — ك 2418 — ق 1013 في مجموع غير مرقم

5 — فقه وأصول

27 — بحث فيما يجب على المكلف من أصول الدين وفروعه مخطوط بخزانة الرباط العامة ضمن مجموع رقمه ج 612 من ص 21 إلى 27

28 — تفهيم شرح قول خليل : « وخصصت نية الخالف وقيدت ... » توجد منه نسخ مخطوطة متعددة ، نذكر من بينها نسخة المكتبة الملكية 6726 ونسختين بخزانة الرباط العامة رقمها ق 302 (ضمن مجموع من ص 294 إلى 305) و 2223 د (ضمن مجموع كذلك)

29 — قواعد الإسلام من مضمون حديث النبي عليه السلام مخطوط في مجموع بالخزانة العامة ج 612 من الورقة 27 و إلى 42و.

30 — منظومة فقهية (أرجوزة) على نسق متن ابن عاشر مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة 1164 د من الورقة 124 و إلى 131ظ

31 — الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع لتاج الدين السبكي تحدثت عنه كثير من المصادر التي ترجمت لليوسي وذكرت أنه وصل فيه إلى (إذا الفجائية)

توجد نسخ منه في بعض المكتبات الخاصة كمكتبة الأستاذ حماد الصقلي التي رجعت إليها السيدة فاطمة خليل.

6 — منطق

32 — شرح أم المنطق أو مزامر المنطق للعزیز بن یوسف الفاسي ذكره صاحب المنح البادية (انظر المصادر وصاحب الكناشة التي في ملك الكاتب (مجهول ص 73) وذكره كذلك الأزهری في اليواقیت الثمينة ص 133

33 — شرح السلم للأخضري ذكره الأستاذ جنون في النبوغ (ج 1 ص 303)

34 — شرح على الطالع المنتشر (لم يكمله) ذكره صاحب المنح البادية (انظر المصادر) وصاحب الكناشة التي في ملك الكاتب (ص 73 مجهول) والصقلي في تقديمه لكتاب القانون ص 1

35 — القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي يوجد مخطوطاً في :

(ا) المكتبة الملكية 1314

(ب) خزانة الرباط العامة 271د — 2775 د — 2881د — 1072 د (من 196 إلى 223)

(ج) مكتبة تمكروت — مجموع رقم 1928 (أوله) وضع عليه عمر بن عبد الله الفاسي حاشية بعنوان « إحرار الفضل بتحريز مسائل القول الفصل » (انظر عناية أولى المجد ص 64)

36 — النسبة الحكيمة بين الطرفين الموضوع والمحمول
مخطوط بخزانة الرباط العامة 2143د (من ص 193 إلى
195) وتوجد منه نسخة في المكتبة السللمانية باسطنبول رقم
2649/2

37 — نفائس الدرر على شرح المختصر (للسنوسي)
توجد مخطوطة في المكتبات الآتية :
(ا) خزانة الرباط العامة ك 1751 — 451 د — 2141د —
2143د — (ضمن مجموع) 2225د — 2249د —
2289د — 623د 1072د (من ص 52 إلى 195)
(ب) مكتبة القرويين دون رقم
(ج) خزانة تمكروت : آخر مجموع رقم 1929 — 2162 —
2221 — 2571.
(د) المكتبة السللمانية باسطنبول 2696
(هـ) المكتبة الوطنية في الجزائر 2 و 1382
(و) المكتبة الوطنية بباريز 2400 (من 104 إلى 251)

ثانيا = رسائل اليوسي وفتاويه⁽¹⁾

1 — دفاع عن النفس

38 — الرسالة الكبرى ، وتعرف باسم «جواب الكتاب» ، وفيها رد
على السلطان اسماعيل الذي كان كتب يعيب عليه موقف الهروب
والانزواء.

(1) جمعت السيدة فاطمة خليل رسائل اليوسي وأنجزت بإشرافي تحت هذا العنوان رسالة
جامعية أحرزت بها على دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد بن عبد الله
بفاس ، بعد المناقشة العلنية التي تمت يوم 8 أبريل 78 . وهي الآن قيد الطبع

توجد مخطوطة في :
(أ) المكتبة الملكية بالرباط 2998 — 2850 (آخر مجموع غير
مرقم) — 1558.

(ب) خزانة الرباط العامة ج 849 (من الورقة 1 إلى 91)
1348 د — 2753 د — 3390 د

2 — سياسة

39 — رسالة في نازلة العرائش
تتعلق بالأمان الذي أعطى لنصارى هذا الثغر عند فتحه .
توجد مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة ك 1234 (من ص
188 إلى 194)

40 — رسالة ندب الملوك للعدل
ناقش فيها مشكل الخلافة الإسلامية وما آلت إليه ،
توجد مخطوطة في مجموع بخزانة الرباط العامة 364 د (من
221 إلى 228)

41 — الرسالة الصغرى لاسماعيل ، وتعرف باسم « براءة اليوسي »
تعرض فيها لقضايا ثلاثة هي : الجباية والجهاد والعدل .
وردت في الجيش لأكنسوس (ص 78 — 82 ط حجرية)
وفي الاستقصا (ج 7 ص 82 — 86 ط الدار البيضاء) كما
وردت في نشر المثاني (الكبير : مخطوط بخزانة الرباط العامة ك
2253 (من الورقة 28 و إلى 29 ظ)
وتوجد مخطوطة في المكتبات الآتية :

(أ) المكتبة الملكية 5356 — 7150 — 7154 — 9249 —
7704 (من ص 23 إلى 27)

(ب) خزانة الرباط 163د — 1348د (من 13 إلى 36)
6111د (من 1 إلى 4)

42 — رسالة جوابية إلى المولى اسماعيل حين حصاره للعرائش أواخر
الحجة متمم المائة بعد الألف.
توجد مخطوطة في نسخة بمكتبة المرحوم العابد الفاسي وأخرى
عند السيدة فاطمة خليل.

3 — فقه

43 — رسالة (فتوى) في قضاء الصلوات المنسية
مخطوطة بالخزانة العامة ق 302 (من ص 247 إلى 248)

44 — رسالة (فتوى) حول إخراج الزكاة في البادية
نفس المخطوطة (من ص 277 إلى 278)

45 — رسالة (فتوى) حول إقامة الجمعة في تامسنا
نفس المخطوطة (من ص 253 إلى 254)

46 — رسالة (فتوى) حول إقامة الجمعة في حصن فشتاله
نفس المخطوطة (من ص 250 إلى 253)

47 — رسالة (فتوى) حول إقامة الجمعة في المدشر
نفس المخطوطة (من ص 326 إلى 328)

48 — رسالة (فتوى) أجاب فيها على استفسار طرحه المولى اسماعيل في
موضوع نشر الحرمة بين الأمة وابتها

نفس المخطوطة (من ص 211 إلى 215). وتوجد كذلك في
المتزغ اللطيف (مخطوط الخزانة العامة) ج 595 (من ص 84
إلى 87) وفي نوازل الشريف علي بن عيسى العلمي الحسني

- (مخطوط الخزانة العامة) ك 832 (من ص 13 إلى 17) وفي مجموع للسيدة خليل (من ص 161 إلى 165)
- 49 — رسالة (فتوى) أجاب فيها على استفسار المولى إسماعيل في موضوع الأمة التي أعطيت بدون شراء توجد في المتزعة اللطيف (مخطوط الخزانة العامة) ج 595 (من ص 88 إلى 89)
- 50 — رسالة إلى محمد الصالح بن المعطي حول الحلف والاستبراء. مخطوطة الخزانة العامة ق 302 (ص 276 — 277)
- 51 — رسالة (فتوى) أجاب فيها على استفسار من مكناش يتعلق بحكم الذكر في المسجد مخطوطة الخزانة العامة ق 302 (من ص 278 إلى 286) ومخطوطة للسيدة خليل (من ص 10 إلى 14)
- 52 — رسالة أجاب فيها على نقل أحباس مسجد قديم إلى آخر جديد كما أجاب فيها على خلق الخيل وعلى ملوك الدنيا مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 209 إلى 211)
- 53 — رسالة إلى السيد المرجاني بن المواق في شروط الرجل العدل مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 270 إلى 272)
- 54 — رسالة (فتوى) في صلاحية الرجل الفاجر نفس المخطوطة (ص 255 — 256)
- 55 — رسالة رد فيها على استفسار للمولى إسماعيل حول المغنم الذي أعطى الخليفة عثمان لمروان بن الحكم في إفريقية مخطوطة خزانة الرباط ج 595 (ص 87 — 88)

56 — رسالة حول الدعاء والتصلية والأذان وغيره
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (ص 273 — 274)

57 — رسالة حول الذكر بعد الصلاة
نفس المخطوطة (ص 340 — 341)

58 — رسالة (فتوى) في عادة وصل الشعر
مجموع السيدة خليل ص 155

4 — توحيد

59 — رسالة ناقش فيها قضية وجوب الشهادتين في الإسلام (تناول فيها كذلك موضوعاً فقهياً يتعلق بصرف الزكاة للعلماء)
مخطوطة بخزانة الرباط ق 302 (من ص 330 إلى 332)
— 1241د (من الورقة 8 و إلى 9 ظ)

60 — رسالة العقيدة الصغرى
شرح فيها العقائد العامة وناقش قضية قدم القرآن وحدائته .
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 287 إلى 294)

61 — رسالة في مسألة علم النبي عليه السلام
عقب فيها على «ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب»
لعبد الملك التجموعي (وهو وارد في مخطوطتي خزانة الرباط العامة ح 115 ص 348 — ك 1284 ص 2—5)
توجد الرسالة مخطوطة في خزانة الرباط ح 115 ص 362

62 — رسالة أجاب فيها بعض الفاسيين حول استحالة عروض الكفر
للأنبياء .

مخطوطة بخزانة الرباط العامة ق 302 (من ص 236 إلى 244)

- 63 — رسالة أجاب فيها على ماهية ذات الله
نفس المخطوطة (من ص 234 إلى 236)
- 64 — رسالة جوابية على سؤال يتعلق بذات الله هل هي حسية أو
معنوية ،
نفس المخطوطة (من ص 199 إلى 202)
- 65 — رسالة في إبطال مبدأ التسلسل لأبي العباس أحمد بن إبراهيم
العتار نفس المخطوطة (من ص 313 إلى 324) وكذلك
مخطوطة خزانة الرباط 1755 د (من ص 286 إلى 293)
- 66 — رسالة في قضايا عقدية
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 232 إلى 234)
- 67 — رسالة في تقرير «اللمعة الخطيرة والنبذة اليسيرة في مسألة خلق
أفعال العباد الشهيرة» لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي.
مخطوطة خزانة الرباط ك 1234 (ص 100 — 101)
- 68 — رسالة حول ماهية الأزمنة وتعاطي الأسباب
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 245 إلى 247)
- 5 — **نصوف**
- 69 — رسالة تتعلق بالهيللة والذكر
مخطوط خزانة الرباط العامة 1241 د الورقة 9 ظ
- 70 — رسالة حول زيارة الشيخ محمد بن ناصر
وردت في «طلعة المشتري» للناصر ج 1 ص 273 (ط
حجرية)

- 71 — رسالة تضمنت نصائح إلى أبي العباس أحمد بن مسعود البوعمرى (معها قصيدة سينية)
مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم 7704 (ص 14 — 15)
- 72 — رسالة إلى أحمد الشيطمي وسيدي مسعود (في آداب السلوك)
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 256 إلى 259)
- 73 — رسالة في التوبة والاستغفار وحسن الظن بالله
نفس المخطوطة (ص 286 — 287)
- 74 — رسالة في السلوك الصوفي
نفس المخطوطة (من ص 216 إلى 219)
- 75 — رسالة تتعلق بمراحل وصول المريد
نفس المخطوطة (من ص 225 إلى 228)
- 76 — رسالة تربوية في سلوك الطريق
نفس المخطوطة (من ص 204 إلى 207)
- 77 — رسالة في استخلاف الشيخ بعد موته
نفس المخطوط (ص 207 — 208)
- 78 — رسالة تتعلق بدور الشيخ في تربية المريد
نفس المخطوطة (من ص 222 إلى 224)
- 79 — رسالة إلى محمد الصالح بن المعطي أجابه فيها على مجاهدة النفس
توجد في فهرست العميري (مخطوطة بخزانة الرباط ك 1361 من ص 198 إلى 200) وفي كناشة محمد بن علي الدكالي
(مخطوطة خزانة الرباط ج 91 من ص 207 إلى 209)

- 80 — الرسالة إلى قبيلة المزامر (نصيحة سلوكية)
مخطوطة خزانة الرباط ج 612 الورقة 15
- 81 — الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية ، وهي نصيحة سلوكية لأهل آسفي .
مخطوطة في المكتبة الملكية (7704 من الورقة 4 ظ إلى 6 و)
وفي خزانة الرباط ج 612 (من الورقة 50 إلى 58) — ق 302 (من ص 333 إلى 338)
- 82 — رسالة في التربية الصوفية ، هي عبارة عن جواب رد فيه على أسئلة تتصل بالسلوك الصوفي
مخطوطة خزانة الرباط ج 612 (من الورقة 49 ظ إلى 52 و)
- 83 — الرسالة إلى أهل بلد كارت ، ضمنها نصائح سلوكية للفقراء
مخطوطة خزانة الرباط 612 (من الورقة 42 ظ إلى 45 و) — ق 302 (من ص 341 إلى 347)
- 84 — الرسالة إلى المقدمين ، موجهة إلى الحاج علي وأبي القاسم بن معمر ، وتتعلق بالزاوية والشيخ.
مخطوطة في خزانة الرباط العامة ق 302 (من ص 259 إلى 270) — ق 950 (من ص 262 إلى 267) — ج 612 (من الورقة 52 إلى 56) — ك 1138 (من ص 32 إلى 39) — 2010 د (من ص 41 إلى 51) ، وكذلك في خزانة تمكروت 1902 (مجموع)

- 85 — الوصية
وجهها إلى أبنائه وجميع إخوانه يعرفهم فيها بالسلوك الحق وينبهم إلى بعض الانحرافات التي وقع فيها بعض أبناء

التصوفة . وفيها يوصي بتحسيس كتبه على أولاده .
توجد مخطوطة في :

- (ا) المكتبة الملكية رقم 1577
(ب) خزانة الرباط العامة ق 950 (من ص 248 إلى 262) — ج 612 (من الورقة 57 إلى 64)
(ج) مكتبة تطوان العامة في أول المجموع 485م

86 — النصيحة الغيائية
تناول فيها حقيقة التصوف السني ونقد مظاهر الشعوذة والانحراف
المتشعبة.

مخطوطة بالمكتبة الملكية 8936 وخزانة الرباط العامة 1816د
(من 432 إلى 475) — ج 612 (من الورقة 1 إلى 15) —
ك 1138 (من ص 1 إلى 30) — ق 302 (من ص 349
إلى 368 مبثورة)

87 — رسالة حول الأذكار وتلاوة القرآن
مخطوطة خزانة الرباط 1241د الورقة 9ظ

6 — تفسير

88 — رسالة حول التفاسير وتفسير ابن عطية
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 371 إلى 373)

89 — رسالة في حكم تفسير القرآن لمن لا يتقن علوم الآلة
وتتضمن كذلك حكم السماع واستعمال الآلات
نفس المخطوطة (من ص 191 إلى 197) وكذلك مخطوطة
خزانة الرباط ج 612 (من الورقة 46و إلى 49 ظ)

7 — نحو وبلاغة

- 90 — رسالة جوابية تتضمن إعراب لو (نظماً)
كما تتضمن ماهية الضوء والظل
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (ص 220 — 221)
- 91 — رسالة تتضمن أجوبة حول
(أ) شخصية علمية أسماء القبائل
(ب) علاقة الاسم بالمسمى زيادة ونقصاً
(ج) إضافة الاسم إلى اللقب وقضية التعريف والتنكير
مخطوطة السيدة خلیل (من ص 157 إلى 159)
- 92 — رسالة أجاب فيها على سؤال يتعلق بقول البوصيري
الا استلمت الندى من خير مستلم
هل هو بفتح اللام ام كسرهما؟
مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (ص 219 — 220)
ومخطوطة السيدة خلیل ص 165
- 93 — رسالة رد فيها على استفسار حول قول الأمة والعلماء بأن المراد
لا يدفع الإيراد.
توجد مخطوطة في خزانة الرباط ق 302 (من ص 228 إلى 232)
— ك 910 (من ص 247 إلى 250) — 1755 د
(من ص 262 إلى 264)
وتوجد كذلك في هداية الملك العلام للهشتوكي (مخطوطة خزانة
الرباط ق 190 من ص 80 إلى 86)

8 — أدب

- 94 — رسالة رد فيها على استفسار حول بيت أبي نواس :

مالي إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل ظني ثم إني مسلم

وبيت البوصيري :

شاكي السلاح لهم سببا تميزهم
والورد يمتاز بالسببا من السلم

مخطوطة خزانة الرباط ق 302 (من ص 197 إلى 199) .

9 — الرد على أهل البدع

95 — رسالة في طائفة العكاكزة

وردت في مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ك 1224 (من ص
167 إلى 187) ، ووردت كذلك في هداية الملك العلام
(مخطوطة خزانة الرباط ق 190 ص 84)

96 — رسالة إلى الفقيهين العربي وعبد السلام القادريين والفقيه المهدي
الفاسي ، أجابهم حول بدعة ابراهيم الكوراني
وردت في نشر المثاني (الكبير) مخطوط خزانة الرباط العامة ك
2253 ج 2 ورقة 23 و

10 — عوائد

97 — رسالة تتعلق ببعض العوائد

مخطوطة خزانة الرباط العامة ق 302 ص 332 — 333

11 — قضية تبرئة صحابين من النفاق

98 — رسالة رد فيها على عبد الملك التجموعي في قضية تبرئة
الصحابين سعد بن عبادة وحاطب بن أبي بلتعة من النفاق

وردت في هداية الملك العلام للهشوكي (مخطوطة خزانة الرباط
العامة ق 190 ص 75 — 76)

12 — تعزية

99 — رسالة إلى عبد الرحمن الفاسي وأخيه محمد يعزيبها في
والدهما عبد القادر
وردت في نشر المثاني (الكبير) مخطوط خزانة الرباط ك 2253 ج
2 الورقة 6 ظ



ثانيا : مصادر ترجمة اليوسي

رتبت هذه المصادر على أسماء المؤلفين وفق حروف المعجم

إبراهيم الإلغي

- 1 — تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية
- ج 2 (في الأدب المغربي والأندلسي) ص 96 — 97
- المطبعة المهدية — تطوان 1375 — 1955

أبو العباس بن يعقوب الولاوي

- 2 — مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار
- مخطوط خزانة الرباط العامة 342 ق — ص 35

أبو القاسم بن سعيد العميري

- 3 — فهرست
- مخطوطة المكتبة العباسية 3140 ص 29 — 104

أبو القاسم الزباني

- 4 — البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف
- مخطوط خزانة الرباط العامة 1577 د ص 40
- 5 — تحفة الأعلام
- مخطوط خزانة الرباط العامة ك 244 ص 162

6. — الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برأً وبحراً

ص 55 — 61 — 100

ت عبد الكريم الفيلاي — نشر وزارة الأنباء

مطبعة فضالة — غشت 1967

أبو المحاسن (علال الفاسي)

7 — أبو علي اليوسي

مجلة المغرب الجديد

السنة الأولى 1935 أعداد 4 — 5 — 7

أحمد بن خالد الناصري

8 — الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

ج 7 ص 108 ط دار الكتاب — الدار البيضاء 1956

9 — طلعة المشتري في النسب الجعفري

ص 186 — 273 ط حجرية

أحمد بن عاشر الحافي

10 — فهرست

ضمن مجموع مخطوط بخزانة الرباط العامة ك 1421

(من ص 251 إلى 308) ص 257

أحمد بن عبد القادر التستاوتي (جمع تلميذه الحافي)

11 — تحفة الناظر وبهجة الخاطر الغض الناصر

مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1669

ص 73 — 122 إلى 132 — 324 إلى 344 — 365

أحمد بن عبد القادر القادري

12 — نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس (رحلة)
مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1418 الورقة 148 ظ 149 و

أحمد بن عبد الوهاب الغساني الشهير بالوزير

13 — التعريف بالشيخ عبد السلام بن الطيب القادري
مضمن في نشر المثاني (الكبير) لذا ترجمة القادري ك 2253 ج 2
من الورقة 39 ظ إلى 41 و (ذكر اليوسي في 40 و) وكان قد نبه إلى هذا
التضمن الأستاذ محمد المنوني في مقال له بعنوان «المصادر الدفينة في
تاريخ المغرب» منشور في مجلة البحث العلمي ع 10 س 4 ص 16

أحمد بن محمد بن عجيبة

14 — أزهار البستان في طبقات الأعيان
مخطوط المكتبة بالرباط 3347
ج 1 ص 277 إلى 283

أحمد تسوكي

15 — عرض حول كتاب (المحاضرات)
مجلة دعوة الحق ع 4 س 18 جمادي الأولى 1397 — مايو 1977
(وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب)

أحمد زياد

16 — لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب
(نقل ما كتبه أبو المحاسن في مجلة المغرب الجديد ، متعلقاً بمؤلفات
اليوسي ، وقد سبق ذكر هذا المصدر)
ص 33 ط دار الكتاب — الدار البيضاء 1973

أحمد الميمشي

17 — تاريخ الشعر والشعراء بفاس (مسامرة)

ص 31 ط فاس — شعبان 1343

أحمد الهشوكي

18 — قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان

نقل عنه الكتاني في « فهرس الفهارس » حيث ذكر (ج 2 ص 465) أن الهشوكي في « قرى العجلان » فصل أخذ اليوسي عن علماء الأقاليم التي جال فيها ، وإن لم يذكر ذلك هو في فهرسته . كما ذكر في ترجمة الهشوكي (فهرس الفهارس ج 2 ص 423) أن له فهرساً سماه : « قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان » في نحو كراسين ، وصرح أنه وقعت له منه نسخة بخط الحضيكي في كناشته . وقد كنت آمل الوقوف على هذا الفهرس في مكتبة الكتاني المضمومة إلى خزانة الرباط العامة . ولكنني لم أعثر له على أثر ، ولعله ضاع فيما ضاع من هذه المكتبة .

19 — هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر

العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام.

مخطوطة خزانة الرباط العامة ق 190 ص 52 وأماكن أخرى أورد فيها بعض رسائله (ينظر القسم الخاص برسائل اليوسي وفتاويه من هذه السيرة البيليوغرافية)

إسماعيل باشا البغدادي

20 — إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي

الكتب والفنون ج 1 ص 275 — 448 ، ج 2 ص 220 — 250 ط الثالثة 1378 (المطبعة الإسلامية — طهران)

21 — هدية العارفين

م 1 ص 296 ط الثالثة 1387 (المطبعة الإسلامية — طهران)

R. BASSET

باسي

- 22 — *Recherches bibliographiques sur les sources de la Salwat el - Anfâs.*
(*Actes du XIV^e congrès des orientalistes n° 106 p 46*
Alger 1905).

L. Provençal

بروفنسال

- 23 — *Les historiens des chorfa p 269 Paris 1922.*

24 — مؤرخو الشرفا (الكتاب السابق)

تعريب عبد القادر الخلافي

ص 189 — مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ رقم 5 — الرباط 1397 — 1977

C. Brockelmann

بروكلمان

- 25 — *G. AR. LITT*
S 2 pp 675 - 676.
Leideu 1938

J. Berque

بيرك

- 26 — *AL - Youssi : Problèmes de la culture marocaine au XVIII^e siècle - Paris - Mouton et co La haye 1958.*
27 — *L'intérieur du Maghreb (XV - XIX siècle) ch XI pp 354 - 389 - éd. Gallimard 1978.*
28 — *Le Maghreb entre deux guerres p 124 éd. du seuil Paris 1962.*

H. Perès

بيريس

- 29 — *Répertoire alphabétique des auteurs publiés à Fès - Bulletin des études arabes n° 32 - 1947 - pp 62 - 70.*

د. التهامي الراحي

30 — القول الفصل في تمييز الخاصة عن الفصل

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 392

شعبان 1399 يوليوز 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون

الثقافية . (عدد خاص باليوسي)

جورجي زيدان

31 — تاريخ آداب اللغة العربية

ج 3 ص 306 نشر د. شوقي ضيف (دار الهلال)

حسن جلاب

32 — أبو عبد الله محمد المرباط الدلائي

(ورد ذكر اليوسي في أماكن متفرقة)

رسالة جامعية حصل بها صاحبها تحت إشرافي على دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد الخامس بالرباط ، بعد أن نوقشت يوم 25 فبراير 1978 (لم تنشر بعد)

الحسن السايح

33 — دفاعاً عن الثقافة المغربية

ص 240 — 241

ط دار الكتاب — الدار البيضاء 1968

حسن الوراكلي

34 — زهر الأكم في الأمثال والحكم

مجلة دعوة الحق ع 3 دسمبر 1963

وزارة الأوقاف — المغرب

خير الدين الزركلي

35 — الأعلام

ج 2 ص 237 ط الثالثة

H. De Castries

دوكاستري

36 — سبعة رجال

Les sept patrons de Marrakech Hespéris T IV 1924 3° trim
pp 245 - 303 (pp 260 - 264).

G. Deverdun

دوفردان

37 — *Marrakech (des origines à 1912) I. Texte éd. Techniques nord - Africaines - Rabat 1959 pp 565 - 572 - 574.*

ROSEN

روزن

38 — *Collections scientifiques de l'Institut des langues Orientales de St. Petersburg I p 86 - 87.*

سليمان الحوات

39 — البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية
مخطوط خزانة الرباط العامة 261 د ص 224

40 — السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب
الشيخ عبد القادر

(نقل عن تأليف والده محمد بن عبد الله الحوات المسمى : « تحفة
المعاصر في بعض صالحى تلامذة أبي عبد الله محمد بن ناصر » ط
حجرية

سليمان العلوي — السلطان (ينسب له)

41 — عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد
ص 40 — 64 المطبعة الجديدة . فاس 1347

شاد محمد

42 — الأدب الصوفي عند أبي علي اليوسي
(بحث تقدم به تحت إشرافى لنيل الإجازة في الأدب العربى من كلية
آداب فاس سنة 1969 — 1970) مرقون

الشاذلى السعدية

43 — ترجمة الفصل الثامن والتاسع من كتاب (اليوسى) لجاك
بيرك مع مقدمة دراسية .

(بحث تقدمت به تحت إشرافي لنيل الإجازة في الأدب العربي من
كلية آداب فاس سنة 1972 — 1973) مرقون

عباس بن ابراهيم

44 — إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال

مخطوط المكتبة الملكية بالرباط 232 ص 226 — 227

45 — الإعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام

ج 3 ص 154 — 163 المطبعة الملكية — الرباط 1975 (نقل فيه

عن « إفادة النبيه من ادعى الاجتهاد أو ادعى فيه).

ج 6 ص 5 (ترجمة ولده محمد اليوسي)

عباس الجباري

46 — الأدب المغربي من خلال ظواهر وقضاياها

ج 1 ص 4

نشر دار المعارف — الرباط 1399 — 1979

47 — بيوبليوغرافيا اليوسي أو سيرته الببليوغرافية (النشرة الأولى

للقسم الثاني من هذا الكتاب)

مجلة المناهل ع 15 س 6 ص 54 — شعبان 1399 يوليو 1979

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

48 — القصيدة (الزجل في المغرب)

ص 194 ط الأولى — الرباط 1390 — 1970

49 — اليوسي بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع

(النشرة الأولى للفصل الثاني من القسم الأول من هذا الكتاب)

مجلة المناهل عد 17 س 7

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب

عبد الحفي الكتافي

50 — رسالة اليواقيت الغنية في الأحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها إلى المدينة.
ص. 22 — 27 مطبعة جوردان — الجزائر 1329هـ

51 — فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيات
والمسلسلات ج 2 ص 464 و 165
المطبعة الجديدة — فاس 1347

عبد الحفي محمد المنيف (باحث تونسي)

52 — تحقيق ديوان اليوسي
نال به دبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) من جامعة
الجزائر ، كما أحرز به جائزة المغرب سنة 1969 لم أطلع عليه ولا أعرف أنه
طبع

عبد الرحمن بن زيدان

53 — إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس
ج 1 ص 14 — 75 — 135 — 325 — 340 — 342
ج 3 ص 32 — 42 — 49
ج 4 ص 49 — 86 —
ج 5 ص 398 — 403 — 426
الطبعة الأولى — الرباط 1349 — 1931

54 — إحياء العلوم وازدهارها في عصر الدولة العلوية
مجلة المغرب — السنة الخامسة — رمضان شوال 1355 نوفمبر ديسمبر
1936 ص 7

55 — الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة

ص 12 — 15 — 36 — 120

المطبعة الاقتصادية — الرباط 1356 — 1937

56 — المتزح اللطيف في التلميح لمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف

مخطوط خزانة الرباط العامة ج 595 ص 308 ، وأماكن أخرى

وردت فيها بعض فتاويه (انظر القسم الخاص برسائل اليوسي وفتاويه من
هذه السيرة البيبلوغرافية)

عبد الرحمن الجبرتي

57 — التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار

ج 1 ص 68 ط مصر 1297

عبد الرحمن الفاسي

58 — الإمام اليوسي في حله ومبازله

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 149 شعبان 1399 — يوليو

1975 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص

باليوسي)

عبد السلام بن سودة

59 — دليل مؤرخ المغرب الأقصى

ينظر فيه بعض إنتاج اليوسي (الفهرس ج 2 ص 596)

ط دار الكتاب — الدار البيضاء

د. عبد السلام الهراس

60 — جانب من شخصية الشيخ اليوسي ورسالته
مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 311 شعبان 1399 — يوليو
1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص
باليوسي)

عبد الصمد بن التهامي جنون

61 — كتاب الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب
ص 27 — 42 — 52 — 113
ط بدون الإشارة إلى المكان والتاريخ
62 — كتاب النسق الغالي والنفس العالي (شرح نصيحة أبي
العباس الهلالي)
ص 363 — 364 — 414
مطبعة الكيلاني — القاهرة 1973

عبد العزيز بن عبد الله

63 — الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب (الحلقة الثالثة)
مجلة (البيئة) س 1 ع 7 ص 63 عام 1962 (المغرب)

عبد القادر زمامة

64 — أبو علي اليوسي : هموم واهتمامات
مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 375 شعبان 1399 — يوليو
1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص
باليوسي)

عبد القادر الصحراوي

65 — على هامش رسائل الحسن اليوسي إلى مولاي اسماعيل
مجلة (دعوة الحق) ع 4 س 12 ذو الحجة 1388 — مارس
1969 — وزارة الأوقاف — المغرب

عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري الحسني المدعو عليوات الزجني

66 — سراج الغيوب في أعمال القلوب
مخطوط خزانة الرباط العامة ك 455 السفر الأول — المقدمة ص
1 — 2

عبد الكبير المدغري

67 — الفقيه اليوسي أبو علي الحسن بن مسعود
رسالة جامعية قدمها صاحبها لنيل دبلوم الدراسات العليا من دار
الحديث الحسنية عام 1976 (لم أطلع عليها)

عبد الكريم الفيلاي

68 — التاريخ المفترى عليه في المغرب
ورد ذكر اليوسي في أماكن متفرقة (انظر ص 213)
مطبعة الصومعة — الرباط — دجنبر 1969

د. عبد اللطيف السعداني

69 — إني أوصي أولادي
مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 326 شعبان 1399 يوليو
1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص
باليوسي)

عبد الله الجراري

70 — رحلتي الصيفية

ص 54 — مخطوطة المؤلف

71 — شذرات تاريخية

ص 185 — 187

الطبعة الأولى 1396 — 1976

72 — الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح (شخصيات

مغربية 4) ص 38 مطبعة النجاح الجديدة — الدار البيضاء 1399 —
1979

73 — المحدث المحافظ أبو شعيب الدكالي (شخصيات مغربية 1)

ص 108 مطبعة النجاح الجديدة — الدار البيضاء 1396 — 1976

74 — هذه مذكراتي

المجلد الثاني ص 141 (نسخة مرقونة خاصة)

عبد الله جنون

75 — أدب الفقهاء

ص 145 — 148

ط دار الكتاب اللبناني — بيروت

76 — خل وبقل

ص 273 إلى 277

المطبعة المهدية — تطوان

77 — المنتخب من شعر ابن زاكور

(المقدمة ص 11 — 12)

ط دار المعارف — مصر 1966

78 — النبوغ المغربي في الأدب العربي

ج 1 ص 285

ط دار الكتاب اللبناني — بيروت

د. عبد الله العمراني

79 — مولاي اسماعيل بن الشريف : حياته السياسية — مآثره

ص 127 — 128

الطبعة الأولى — تطوان 1398 — 1978

عبد الملك التجموعي

80 — خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية

يرد فيه على تعقيب اليوسي على إجابته أحمد الحلبي في مسألة العلم

النبوي

مخطوط خزانة الرباط العامة ح 115 من ص 373 إلى 445 مع طرر

وتعاليق لمحمد الحجوي

د. عبد الهادي التازي

81 — بطاقة في منتهى الطاقة

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 287 شعبان 1399 — يوليو

1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص

باليوسي)

82 — جامع القرويين

م 3 ص 795

الطبعة الأولى 1972 — دار الكتاب اللبناني — بيروت

عزيز سلام

83 — ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية ص

27 — 29

وزارة الأنباء — مطبعة فضالة

علال الفاسي (انظر : أبو المحاسن)

علي بن محمد علي العكاري

84 — مناقب الشيخ علي العكاري

أورد إجازة اليوسي له

مخطوط خزانة الرباط العامة 88 د ص 2 — 38

عمر رضا كحالة

85 — معجم المؤلفين

أشار إلى فهرس عدد من الخزائن والمكتبات تضم بعض كتب اليوسي كالحديوية والتمورية والأزهرية ودار الكتب المصرية والظاهرية بدمشق

ج 3 ص 294

نشر مكتبة المثنى ببيروت ودار إحياء التراث العربي ببيروت

فاطمة خليل

86 — رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

رسالة جامعية حصلت بها صاحبها تحت إشرافي على دبلوم الدراسات

العليا من كلية آداب جامعة محمد بن عبد الله بفاس بعد أن ناقشتها في 8

أبريل 1978.

قيد الطبع

لجنة الاحتفال بموسم اليوسي

88 — نشرة عن اليوسي

الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) العدد 459 السبت 11 ذي القعدة
1398 موافق 14 أكتوبر 1978

مجهول

89 — إجازة لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

موجودة ضمن مجموعة بالزاوية الحمزاوية

ذكرها الأستاذ محمد المنوني في المقال الذي عرف فيه بما في هذه
الزاوية ، مشيراً إلى أنه لم يذكر اسم المجيز الذي هو من الآخذين عن
تلاميذ القصار والمنجور.

مجلة (تطوان) ع 8 س 1963 ص 160

مجهول

90 — كناشة

نقل صاحبها ترجمة اليوسي عن « المنح البادية »

ص 73 — مخطوطة خاصة للكاتب

Mohammed Lakhdar

د. محمد الأخضر

91 — *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie des Alawites*
pp 95 - 107. éd. techniques nord - Africaines Rabat 1971.

92 — الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (ترجمة

نفس الكتاب (

ص 122

ط دار الرشاد — الدار البيضاء — ط الأولى 1977

محمد أكنسوس

93 — الجيش العرمم

ص 60 — 78

ط حجرية

محمد الأمري

94 — أبو علي الحسن اليوسي

مجلة (الثقافة المغربية)

ع 8 سنة 1973 ص 52 — 62

95 — أبو علي الحسن اليوسي

الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم)

العدد 459 السبت 11 ذي القعدة 1398 موافق 14 أكتوبر 1978

محمد البشير ظافر الأزهري

96 — كتاب اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة

ص 133 — 134

ط الملاجئ العباسية — 1324

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي

97 — المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري

الحسني

مخطوط خزانة الرباط العامة ك 1234 ص 231

محمد بن أحمد الحضيكي

98 — مناقب

ج 1 ص 195

الطبعة الأولى — المطبعة العربية — الدار البيضاء 1355

محمد بن أحمد الشاذلي (أكمله محمد البكري)

99 — شرح القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية

المقدمة ص 1 — 2

مخطوط خزانة الرباط العامة ك 248

محمد بن تاويت

100 — شعر الحسن اليوسي

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 230 — شعبان 1399 يوليو

1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص

باليوسي)

محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيبي

101 — الأدب المغربي

ص 337 ط دار الكتاب اللبناني ط الأولى 1960

محمد بن جعفر الكتاني

102 — سلوة الأنفاس

ج 3 ص 81 ط حجرية

محمد بن الحسن الحجوي

103 — الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي

الربع الرابع ص 117

مطبعة النهضة — تونس

محمد بن زاكور

- 104 — الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض
(ديوان) مخطوط بخزانة الرباط ك 357 ص 7 — 38 — 92 —
115 — 224 — 226 — 273

- 105 — نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان
ص 88 — المطبعة الملكية — الرباط 1387 — 1967

د. محمد بنشريعة

- 106 — أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى الزجاجي
القسم الأول : دراسة ص 191 — 195
مطبعة محمد الخامس — فاس 1395 — 1975

محمد بن شب و بروفنسال Mohammed Ben Cheneb - L. Provençal

- 107 — *Essai de répertoire chronologique des éditions de Fès*
- *Revue africaine* 1922 n° 81 - 142 - 293.

محمد بن الطيب الصميلي الشركي

- 108 — عيون الموارد السلسلة من عيون الأسانيد المسلسلة
مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط 10916 الورقة 36 — 37

محمد بن الطيب القادري

- 109 — التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة
الثانية والحادي عشر
مخطوط خزانة الرباط العامة 676 د ص 64

110 — حوليات نشر المثاني

ت.د. نورمان سيكار

- نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب 1978

111 - - نشر المثنائي

ج 2 ص 142 ط حجرية

112 — نشر المثنائي (الكبير)

ج 2 ابتداء من الورقة 26 ظ

مخطوط خزانة الرباط العامة ك 2253

محمد بن عبد الرحمن الفاسي (المعروف بالصغير)

113 — المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية

مخطوطة بالمكتبة الملكية 1227 (الزيدانية). غير مرقمة ، وكذلك 5165 غير مرقمة أيضاً.

وفي خزانة الرباط العامة توجد نسخة مبتورة رقعها ك 1249

محمد بن عبد القادر الكلالي الحسني المعروف بالكردودي

114 — الدر المنضد الفاخر فيما لأبناء مولانا علي الشريف من

الحاسن والمفاخر

مخطوط خزانة الرباط 1584 د الورقة 216 ظ إلى 218 و

محمد بن عبد الكريم العبدوني

115 — يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ سيدي المعطي

مخطوطة بخزانة الرباط العامة ك 305 ص 188

محمد بن علي الحسني الزيادي

116 — دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب سيدي علي ابن

عبد الرحمن.

مخطوطة بخزانة الرباط العامة 390 د ص 113 — 207

محمد بن علي الدكالي السلوي

117 — كناشة

مخطوطة بخزانة الرباط العامة ج 91 ص 45 — 46 — 95 —
112 — 186 — 187 — 207 — 209

محمد بن علي دينية

118 — مجالس الإنبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط

مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط 779

ج 1 ص 83 (لدا ترجمة علي العكاري)

119 — واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد

ص 30 ط الأولى — الرباط 1347

محمد بن الفقيه أبو بكر اليازغي

120 — حقائق الأزاهر الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية

(منظومة) وردت في أول «البدور الضاوية» (مخطوطة خزانة الرباط

العامة 261د)

محمد بن محمد مخلوف

121 — شجرة النور الزكية في طبقات المالكية

ص 328 ط دار الكتاب العربي ببلنان (مأخوذة عن الطبعة الأولى

1345)

محمد بن موسى بن محمد الناصري الدرعي

122 — الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة أو كشف الروعة في

التعريف بصلحاء درعة

مخطوط بخزانة الرباط العامة ك 265 ص 35 — 53

محمد بن الموقت المراكشي

123 — السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية
ج 1 ص 136 ط حجرية (لدا ترجمة شيخه محمد المزوار)

محمد بوجندار

124 — الاغتباط بتراجم أعلام الرباط
مخطوط خزانة الرباط العامة 1287 د ص 14 (لدا ترجمة أحمد بن
يحيى والزهرا وذكر إجازة العكاري له)

محمد الحبيب بن عبد القادر الحسني السجلماسي

125 — شرح منظومة الهلالي في الأسماء الحسني
تعرض فيه للخلاف بين اليوسي والتجموعي في قضية العلم النبوي .
وعنه نقل عبد الحي الكتاني في «رسالة اليواقيت الثمينة» ما أورد في
الموضوع
لم أقف على هذا الشرح

د. محمد حجي

126 — الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين
ج 2 ص 503 وأماكن أخرى (انظر ص 706)
منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة التاريخ 2)
1396 — 1976

127 — الحسن اليوسي اللغوي

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 211 شعبان 1399 يوليو 1979
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب
(عدد خاص باليوسي)

128 — الزاوية الدلائية

ص 97 إلى 108

المطبعة الوطنية — الرباط 1384 — 1964

129 — المحاضرات لليوسي

تقديم الطبعة الجديدة ص 4

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب 1)

الرباط 1396 — 1976

محمد داوود

130 — تاريخ تطوان

م 1 ق 3 ص 411

ط تطوان 1379 — 1959

محمد زنيبر

131 — الصورة التاريخية للمثقف المغربي : ابن زاكور على حقيقته

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية — جامعة محمد الخامس الرباط

العدد 3 — 4 (مزدوج) 1978

132 — اليوسي فكر قوي وراء شخصية قوية

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 260 شعبان 1399 يوليو 1979

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب

(عدد خاص باليوسي)

محمد السايح

133 — المنتخبات العبقريّة

ص 52 — المطبعة الرسمية — الرباط 1920

محمد الصغير اليفرنى

- 134 — روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف
ص 15 — 33 — 38
المطبعة الملكية — الرباط 1382 — 1962
135 — كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي

عشر

- ص 206 ط حجرية
136 — نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي
ص 284 نشر هوداس — الطبعة الثانية —
مكتبة الطالب — الرباط

محمد الضعيف الرباطي

- 137 — تاريخ الدولة السعيدة
مخطوط خزانة الرباط العامة 758 د
ابتداء من الورقة 23 و

محمد الطالب بن الحاج

- 138 — رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجواهر الفرد
مخطوط خزانة الرباط العامة 111 د ص 21

محمد العربي بن داوود

- 139 — الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي
مخطوط خزانة الرباط العامة ك 2312 ص 507

محمد العربي الخطابي

- 140 — الحسن اليوسي من خلال المحاضرات

مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 114 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

141 — من أعلام المغرب : الحسن اليوسي
مجلة (الفيصل) س 3 ع 31 محرم 1400 ديسمبر 1979 — المملكة العربية السعودية

محمد العربي المساري

142 — مع اليوسي في المحاضرات : سيف العالم لسانه
الملحق الثقافي لجريدة (العلم) س 8 ع 348 — 18 ربيع الثاني 1397 — 18 أبريل 1977

Mohammed El Fassi

محمد الفاسي

143 — *La littérature marocaine (MAROC)*
l'encyclopédie coloniale et maritime p 534 A Paris. éd.
de l'empire français 1948.

محمد الفاطمي الصقلي

144 — القانون لليوسي
تعريف بمؤلفه في أول الكتاب ص 1
وانظر كذلك آخره

محمد الكتافي

145 — ملامح الفكر السياسي عند الحسن اليوسي
مجلة (المناهل) ع 15 س 6 ص 192 شعبان 1399 — يوليو 1979 — وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية — المغرب (عدد خاص باليوسي)

محمد المختار السوسي

- 146 — إيليج قديماً وحديثاً
ص 69 — المطبعة الملكية — الرباط 1386 — 1966
147 سوس العالة
ص 38 — 67 مطبعة فضالة — المحمدية 1380 — 1960
148 — المعسول
ج 5 ص 21 — 22
مطبعة النجاج الجديدة — الدار البيضاء 1380 — 1961

محمد المنتصر الريسوني

- 149 — شخصيات من بلادتي : العالم الشاعر
جريدة (الحسني) الأسبوعية
العدد 40 إلى 48 — السنة الأولى 1962 — 1382 — المغرب

محمد المتوني

- 150 — ركب الحاج المغربي
ص 33 — 51 ط معهد مولاي الحسن — تطوان 1953

محمد المهدي

- 151 — أبو علي اليوسي في المناهل
جريدة (المحرر) ع 1636 الأربعاء 21 رمضان 1399 موافق 15
غشت 1979

نجاجي البتول

- 152 — ترجمة الفصل الرابع والخامس من كتاب (اليوسي) لبيرك
مع مقدمة دراسية

بحث تقدمت به تحت إشرافي لنيل الإجازة في الأدب العربي من كلية
آداب فاس سنة 72 — 73 (مرقون)

د. نقولا زيادة

153 — صفحات مغربية

فصل 9 (اليوسي المغربي)

ص 92 إلى 104 — دار الطليعة — بيروت

154 — لمحات من تاريخ المغرب

فصل 3 (اليوسي المغربي)

ص 303 إلى 306 — دار الكتاب اللبناني — بيروت

يوسف سركيس

155 — معجم المطبوعات العربية والمعرية

ج 2 ص 1959

* * *

تجدر الإشارة في ختام هذه السيرة البيبليوغرافية إلى وجود خط
اليوسي ، متمثلاً في تملك كتب على « شفاء السائل » لابن خلدون
(مخطوط المكتبة الملكية رقم 3396 ص 1) ، هذه عبارته : « لعبيد الله
تعالى الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له » .

وبأسفله كتب ولده بخطه : « ثم صار إلى أحوج العباد إلى الله تعالى
عبد الكريم بن الحسن اليوسي كان الله له أمين عام ستة وعشرين ومائة
وألف » .

فہرست

تصدير 7

القسم الأول اليوسي رائد عصره ومجده

مقدمة 15

الفصل الأول نمط متميز من الثقافة والشخصية... 21

الفصل الثاني بين الامتياح من الذات والانصهار

في المجتمع 47

الفصل الثالث مواقف جريئة وآراء صريحة 71

خاتمة 99

القسم الثاني بيوبليوغرافيا اليوسي أو سيرته البليوغرافية

أولاً : إبتناج اليوسي 105

1 - كتبه وتقائده وأشعاره ومنظوماته 105

2 - رسائله وفتاويه 115

ثانياً : مصادر ترجمة اليوسي 127

عباس الجراري

عباس الجراري

دكتور دولة في الآداب - أستاذ التعليم العالي - كرسي
الأدب المغربي - كلية الآداب - جامعة محمد
الخامس - الرباط المغرب - صدرت له الكتب الآتية :

في الأدب المغربي :

- * موشحات مغربية
- * الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحد
- * النضال في الشعر العربي بالمغرب من 1830 إلى 1912
- * قضية فلسطين في الشعر المغربي حتى حرب رمضان
- * وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ
- * ثقافة الصحراء
- * الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ج 1
- * عبقرية اليوسي .

في الأدب الأندلسي

- * فنية التعبير في شعر ابن زيدون

في الأدب العربي والإسلامي

- ✧ من أدب الدعوة الإسلامية
- ✧ في الشعر السياسي
- ✧ صفحات دراسية من القديم والحديث

في التراث والأدب الشعبي

- ✧ القصيدة (الزجل في المغرب)
- ✧ من وحي التراث
- ✧ معجم مصطلحات الملحن الفنية

في الفكر والثقافة :

- ✧ الحرية والأدب
- ✧ الثقافة في معركة التغيير
- ✧ الفكر الإسلامي والاختيار الصعب .

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَيْنًا يَسْتَقِي مِنْهَا
أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ»

محمد بن ناصر الدرعي
في دعاء لليوسي
(المحاضرات ص 30 ط حبرية)